الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique

المركز الجامعي لميلة

معهد الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

المرجع: .....

دور السياق في فهم معاني التراكيب
_ دراسة بيانية لسورة الكهف _

مذكرة معدة استكمالا لمتطلبات نيل شهادة الماستر

الشعبة: لغة عربية

التخصص: علوم اللسان العربي

إعداد الطالب(ة):
- .فضيلة بوعنان

إشراف الأستاذ(ة):
- سليم عواريب

السنة الجامعية: **2014/2013**

شكر وعرفان

اشكر الله العلي القدير على إتمام عملي واحمده حمدا يليق بمقامه وجلاله فلولاه ما عرف عملي هذا طريقه للوجود ،

واصلي على خير الهدى نبينا ورسولنا الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم.

أشكر الوالدين الكريمين سبب الوجود ومثال العطاء والتضحية .

الأستاذ المشرف *عواريب سليم على ما قدمه لي من نصائح وتوجيهات وإرشادات، طيلة سنوات الدراسة الجامعية والذي لا تكفي هذه الكلمات للتعبير عن شكري و امتناني له.*

كما اشكر الأستاذ : مزهود سليم، الأستاذ بوفاس عبد الحميد ،

،الأستاذ رابح لطرش ،الأستاذ قبايلي عبد الغاني .

و الى أسرتي الكريمة : إخوتي وأخواتي كل باسمه وأزواجهم وزوجاتهم وأولادهم .

وصديقاتي كل واحدة باسمها .

دعـــــــــاء

اللهم لا تجعلنا نصاب بالغرور و إذا نجحنا و لا بالـيأس إذا أخفقنا
و ذكرنا أن الإخفاق هو التجربة التي تسبق النجاح.
اللهم إذا أعطيتنا نجاحنا فلا تأخذ تواضعنا
و إذا أعطيتنا تواضعا فلا تأخذ اعتزازنا،
اللهم أختم بالسعادة أحلامنا و حقق بالزيادة أمالنا.
-أمين يا رب العالمين-

تقاطعت علوم كثيرة قديمة وحديثة في معالجة قضية المعنى، واختلف منطلق هذه العلوم واتّحدت غاياتها، وهي الوصول إلى الفهم الجيد للمعنى الذي يحمله الخطاب سواء أكان منطوقا أم مكتوبا، وينعكس اختلاف هذه العلوم في تصورها لموضوع المعنى ومنهج دراسته، لذلك راحت تبحث في الآليات التي تمكّنها من تحليله وكشفه، ولما كانت طبيعة معنى هذا الخطاب أنه يتغير بتغير السياق الذي يوضع فيه، أصبح من الضروري اعتماد عنصر السياق إحدى آليات بلوغ المعنى وبيانه، بل إنه جزء من المعنى لأنه يوضح ماهية الكلام والغرض الذي لأجله نظم، لذلك عنونت الموضوع كالتالي: " **دور السياق في فهم معاني التراكيب _ دراسة بيانية لسورة الكهف _** " غير أن بلوغ المعنى من خلال السياق يثير بعض التساؤلات أهمّها: كيف يكشف السياق معنى التركيب؟ وما هي عناصره وأنواعه في هذه العملية؟.

ويهدف البحث في هذا الموضوع إلى محاولة كشف العلاقة بين المعنى والسياق، وقد وقع اختياري على موضوع السياق لأنه يعطينا فهما شاملا للخطاب أولا ثم نأتي لتحليل أجزائه ونحن نحمل فكرة ولو بسيطة عن ذلك الخطاب ما ييسّر علينا دراسته، حيث قسمت البحث إلى مقدمة ثم مدخل أوضحت فيه مفاهيم أهم المصطلحات التي تمثل صلب الموضوع وهي:

_ السياق.

_ المعنى.

_ البيان.

ذلك أن فهم المصطلحات في أية دراسة كانت ضروري للفهم الكلي لها، كما ينقسم البحث إلى فصلين، أما الفصل الأول فهو دراسة نظرية مع بعض التطبيق لمختلف العلوم العربية التراثية والغربية الحديثة التي تطرّقت لظاهرة السياق، فجاء الفصل مقسّما بين

مبحثين، المبحث الأول يرتبط بالتراث اللغوي العربي من نحو وبلاغة وعلوم القرآن، غير أني جمعت بين النحو والبلاغة تحت عنوان واحد لأنهما يرتبطان من خلال علم المعاني، ولأنني صادفت أثناء بحثي مسألة كثيرا ما تتردد وهي: هل العلماء البلاغيون كانوا يؤلفون في النحو أم في البلاغة.

غير أني فصلت بينهما أثناء الدراسة، وتتضح علاقة النحو بالسياق من خلال كونه مبدأ في وضع القواعد النحوية، وعاملا في توجيه الظواهر التالية:

_ التعريف والتنكير.

_ تعدّد الإعراب.

_ التقديم والتأخير.

_ الذكر والحذف.

وأما عن علاقة السياق بالبلاغة فتبرز في كونه معيارا لبلاغة الخطاب، كما يرتبط السياق بكلام الله عز وجل، وكل من النحو والبلاغة إنما قاما لإثبات إعجازه، غير أن السياق القرآني نوع خاص من السياق لذلك أفردته في البحث بعنصر لوحده بيّنت فيه:

_ مفهومه.

_ أركانه.

_ أنواعه.

_ خصائصه.

ولم تقف فكرة السياق عند الحدود التي رسمها لها علماء العربية القدامى، وإنما تطورت في العصر الحديث وأصبحت تمثل نظرية مستقلة من النظريات اللسانية الغربية، وسبق

الذكر أن الفصل الأول ينقسم إلى مبحثين أما المبحث الثاني فعرضت فيه نظريتين غربيتين درستا ظاهرة السياق وهما:

_ النظرية السياقية بزعامة فيرث (firth)

_ نظرية التخاطب بزعامة موريس (Morris)

أما النظرية السياقية فنظرت إلى المعنى باعتباره وظيفة في السياق، وقسّمت السياق إلى أنواع عدة رُوعِيَ فيها أطراف العملية الكلامية وعناصرها، وأما نظرية التخاطب فتركز على عناصر الخطاب من متكلم ومتلق أكثر من العناصر الأخرى.

والفصل الثاني من البحث هو دراسة تطبيقية لظاهرة السياق، وقد اخترت القرآن الكريم كمدونة للدراسة من خلال سورة الكهف، حيث أوضحت فيه أثر السياق في توجيه بعض الظواهر البيانية الواقعة في السورة من حيث:

_ البنية: قسّمت السورة سياقيا إلى مجموعة بنيات صغرى تشكل في مجموعها بنيات كبرى توضح السياق الكلي للسورة.

_ التقديم والتأخير.

_ الذكر والحذف.

_ الفواصل القرآنية.

حيث يقوم السياق بدور كبير في توجيه هذه الظواهر في السورة من خلال معرفة سبب النزول وعدد القصص الواردة في سورة الكهف.

أمّا المنهج المتّبع في الدراسة فهو المنهج الوصفي التحليلي ذلك أن طبيعة البحث تقتضي وصف كيفية تناول كل من العلماء العرب القدامى والغربيين المحدثين لظاهرة السياق، ثم تحليل أهم النتائج التي توصلوا إليها، وقد استعنت ببعض المصادر والمراجع

كالكتاب لسيبويه ولسان العرب لابن منظور والكشاف للزمخشري والدلائل للجرجاني رحمهم الله جميعا، وكل بحث واجهت بعض الصعوبات التي والحمد لله تغلبت عليها أهما ضيق المدة الزمنية المحددة لإنجاز البحث.

أخيرا أتقدم بالشكر الجزيل لكل من قام بمساعدتي في انجاز هذا البحث وعلى رأسهم الأستاذ المشرف السيد سليم عواريب الذي بذل جهده في توجيهي لما يخدم البحث.

تفرض الكلمة نفسها على المتكلمين والمتلقّين حين تكون مكتوبة أو منطوقة، في إطار اللغة _اللغة الإنسانية_ لِمَا للكلمة من مكانة مستقلة سواء في ذاتها أو في مختلف العلوم التي تكون الكلمة أساسا في قيامها، وقد وعى علماء اللغة منذ القدم قيمتها ما جعلهم يخضعونها لعدة دراسات علمية وموضوعية، كما أنهم أصبحوا يفرقون بين قيمتها حين تكون مفردة وحين تنظم في تركيب، فطبقوا عليها مستويات التحليل اللغوي لتظهر الدراسة الصوتية والنحوية والصرفية والدلالية للكلمات، وصارت الكلمة تحتل مكانة فريدة كوحدة في النظام اللغوي[1]، وهو ما أكسبها استقلالية واسعة في التأليف المعجمي.

واستنادا لذلك فعنوان الموضوع يحتاج لضبط بعض مفاهيم مصطلحاته ضبطا لغويا واصطلاحيا حتى تتضح قليلا ماهية البحث.

1_ السياق: تقوم الدراسة في البحث عليه لأنه محور الموضوع.

1_1_ المفهوم اللغوي: ورد مفهوم السياق لغة في عدة معاجم عربية وأجنبية نذكر بعضها،

« سَاقَ الإِبِلَ وَغَيْرَهَا يَسُوقُهَا سَوْقًا وَسِيَاقًا... وَتَسَاوَقَتْ الإِبِلَ: تَتَابَعَتْ، قال امرؤ القيس:

لَنَا غَنَمُ نُسَوِّقُهَا غِزَارٌ **** كَأَنَّ قُرُونَ حِلَّتِهَا العِصِيُّ[2]

والمُسَاوَقَةُ المُتَابَعَةُ كَأَنَّ بَعْضَهَا يَسُوقُ بَعْضًا»[3].

[1] _ ينظر: حلمي خليل، الكلمة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط2، 1988م، ص10.

[2] _ ينظر: ديوان امرؤ القيس، شر: عبد الرحمان المطاوي، دار المعرفة، بيروت، ط2، 1425هـ/ 2004م، ص 165، البيت من بحر الوافر، وهو في الفخر.

[3] _ ابن منظور محمد بن مكرم جمال الدين، لسان العرب، تع: خالد رشيد القاضي، دار صبح، بيروت، مادة (سوق)، ط1، 1427هـ/ 2006م، ج6، ص408.

« وَالسِينُ وَالوَاوُ وَالقَافُ أَصْلٌ وَاحِدٌ وَهُوَ حَدْوُ الشَّيْءِ، يُقَالُ: سَاقَهُ يَسُوقُهُ سَوْقًا... مَا اِسْتِيقَ مِنَ الدَّوَابِ»[1]، يشير كل من ابن منظور وأحمد بن فارس رحمهما الله في معجميهما إلى المعنى الأصلي لكلمة سياق، وهو انتظام الماشية وتتابعها.

وبالانتقال إلى المعنى المجازي للكلمة يذكر الزمخشري رحمه الله أن السياق: « هُوَ يَسُوقُ الحَدِيثَ أَحْسَنَ سِيَاقٍ، وَهَذَا الكَلَامُ مَسَاقَةٌ إِلَى كَذَا وَجِئْتُكَ بِالحَدِيثِ عَلَى سَوْقِهِ أَيْ عَلَى سَرْدِهِ...»[2]، كما أُشير إلى المعنى المجازي في معجم الوسيط: « وَسَاقَ الحَدِيثَ: سَرَدَهُ وَسَلْسَلَهُ، وَإِلَيْكَ يُسَاقُ الحَدِيثُ: يُوَجَّهُ، وَسِيَاقُ الكَلَامِ تَتَابُعُهُ وَأُسْلُوبُهُ الذِي يَجْرِي عَلَيْهِ»[3].

ويقابل لفظ "السياق" في اللغات الأجنبية " contexte"، ويتكون من مقطعين الأول: con و الثاني tex ، ومعناه :مع النسيج، حيث كان يستعمل في مجال الموسيقى، للدلالة على ما يصاحب المقطوعات الموسيقية، ثم انتقل إلى مجال اللسانيات [4]، ليشير إلى مشاركة مجموعة عناصر لغوية وغير لغوية في فهم معاني النص، وورد كذلك بلفظ «contéxère، ومعناه النص الذي سبق أو يلي جملة أو مجموعة من كلمات أو كلمة»[5].

1_2_ المفهوم الاصطلاحي: نلاحظ أن المفهوم اللغوي للسياق يترك مساحة للجانب الاصطلاحي لابد من التطرق إليها:

« فكلام العرب يصحح بعضه بضعا، ويرتبط أوله بآخره و لا يُعرف معنى الخطاب منه إلا باستيفاء واستكمال جميع حروفه » [6]، يشير الأنباري رحمه الله إلى أن الكلام العربي هو وحدة كاملة لا تتجزأ تدل الكلمة الأولى منه على ما سيأتي أخره ، و« سياق الكلام أسلوبه

[1] _ أحمد ابن فارس، مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، مادة(سوق)، ط1، 1399هـ/ 1979م، ج3، ص118.

[2] _ الزمخشري جار الله محمود بن عمر، أساس البلاغة، تح: محمد باسل، دار الكتب العلمية، بيروت، مادة(سوق)، ط1، 1419هـ/1998م، ج1، ص485.

[3] _ مجمع اللغة العربية، معجم الوسيط، مكتبة الشروق، مصر مادة(سوق)، ط4، 1425هـ/2004م، ص465.

[4] _ ينظر: كريم زكي حسام الدين، أصول تراثية في اللسانيات الحديثة، القاهرة، ط3، 1421هـ/2001م، ص251.

[5] _ le petit la rousse , Edition paris, p225.

[6] _ الأنباري محمد بن القاسم، الأضداد، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دائرة المطبوعات، الكويت، ص2.

ومجراه، تقول: وقعت هذه العبارة في سياق الكلام أي جاءت متفقة مع مجمل النص، وسياق الحوادث مجراها وتسلسلها وارتباط بعضها ببعض»[1].

« وهو كل ما يكتنف الكلمة من أحوال وأحداث تساعد على فهمها»[2]، وبما أن المفهوم اللغوي للسياق يشير إلى التتابع « فهو تتابع المعاني وانتظامها في سلك الألفاظ، لتبلغ غايتها الموضوعية في بيان المعنى المقصود دون انقطاع أو انفصال»[3].

ويشير كذلك إلى التوالي: « توالي العناصر التي يتحقق بها التركيب والسبك، وتوالي الأحداث التي صاحبت الأداء اللغوي »[4].

ونلاحظ من خلال هذه المفاهيم الاصطلاحية للسياق أنه يضم جانبين: جانب لغوي يتمثل في ترابط الألفاظ والعبارات مع بعضها، وجانب غير لغوي يتمثل في العوامل المصاحبة للعبارات من أحداث تقع في المحيط الخارجي.

وترد مفاهيم اصطلاحية كثيرة لظاهرة السياق في اللسانيات : « فهو سلسلة الأفكار التي تجسد نصا ما، وهو مجموع النص الذي يحيط بالجملة التي يراد فهمها ، وعليه يتوقف الفهم السليم لها» [5]، وهو : « وهو المحيط اللساني الذي أنتجت فيه العبارة» [6]، « فهو مجموع الوحدات اللسانية التي تحيط بعنصر معين داخل سلسلة الخطاب، وتؤثر فيه» [7] .

---

[1] _ عبد النعيم خليل، السياق بين القدامى والمحدثين، دار الوفاء، الإسكندرية، ط1، 2007م، ص21.

[2] _ غازي مختار طليمات، في علم اللغة، دار طلاس، دمشق، ط2، 2000م، ص213م.

[3] _ المثنى عبد الفتاح محمود، نظرية السياق القرآني، دار وائل، عمان، ط1، 1429ه/2008م، ص14.

[4] _ تمام حسان، مقالات في اللغة والأدب، عالم الكتب، ط1، 1427ه/2006م، ص65.

[5]_ André Laland, vocabulaire technique et critique de la philosophie, puf, 13ed,1980,p181

[6]_ R.glisonet D.coste: dictionnaire de didactique des langues, p123

[7]_ Encyclopédie axis,(CD).

« مجموع النص الذي يحيط بعنصر لغوي من أجل فهم أفضل» [1]، والسياق « هو البيئة اللغوية المحيطة بالوحدة الصوتية، أو بالوحدة البنيوية الصغرى أو بالكلمة، أو بالجملة » [2] فالسياق يبين دور كل من الأصوات والكلمات والجمل في فهم المعنى الكلي للنص.

« فهو مجموعة العوامل الاجتماعية التي يمكن أن تؤخذ بعين الاعتبار لدراسة العلاقات الموجودة بين السلوك الاجتماعي والسلوك اللغوي»[3] .

فالسياق لا نقصد به العوامل الخارجية التي ينجز فيها التركيب ففقط بل إنه يشمل العلاقات اللغوية بين عناصر هذا التركيب من أوله حتى آخره والموقف الذي قيل فيه ذلك التركيب وحالة المتكلم وعلم المتلقي، فهي عناصر مساعدة في فهم المعنى وتدخل في تشكيل السياق.

2_ المعنى:

2_1_المفهوم اللغوي: تناولت مسألة المعنى الكثير من المعاجم العربية نذكر منها:

« وَقَالَ بَعْضُ أَهْلِ اللُّغَةِ: لَا يُقَالُ: عَنَيْتُ الشَّيْءَ أَعْنِيهِ، إِذَا كُنْتُ قَاصِداً لَهُ، وَهُوَ العِنَايَةُ فَقَوْلُكَ: هَذَا الأَمْرُ لَا يَعْنِينِي، أَيْ لَا يَشْغَلُنِي، وَعُنِيتُ بِحَ اجَتِكَ أُعْنَى بِهَا وَأَنَا بِهَا مَعْنِيٌّ» [4]، فهو الاعتناء بالشيء ومحاولة فهمه.

« وَعَنَى بِكَذَا وَاعْتَنَى بِهِ، فَهُوَ مَعْنِيٌّ بِهِ، وَمِنْهَ قَوْلُ سِيبَوَيْه: وَهُمْ بِبَيَانِهِ أَعْنَى ، وَعَنِيتُ بِكَلَامِي كَذَا أَيْ أَرَدْتُهُ وَقَصَدْتُهُ»[5]، و« عَنِيَ بِالشيْءِ عِنَايَةً: أَرَادَهُ وَقَصَدَهُ وَعَنَى بِالأَمْرِ عَنْيًا وَعِنَايَةً: اِهْتَمَّ وَ اشْتَغَلَ بِهِ، وَالمَعْنَى: مَا يَدُلُّ عَلَيْهِ اللَّفْظُ، وَالجَمْعُ مَ عَانٍ، وَ هِيَ الصِّفَاتُ

[1]_ micro Robert, imprimé en France , par brodard graphique, E d ,1982,p220

[2] _ مبارك مبارك، معجم المصطلحات الألسنية، دار الفكر، بيروت، ط1، 1995م، ص61.

[3] _ المرجع نفسه، ص1.

[4] _ ابن منظور، مادة(عنى)، ج31، ص318.

[5] _ الزمخشري، أساس البلاغة، ج1، ص 622.

المَحْمُودَةُ مِنْ صِفَاتِ الإِنْسَانِ، وَمِنْهُ عِلْمُ المَعَانِي مِنْ عُلُومِ البَلَاَغةِ، وَالمَعْنَوِيُّ خِلَافُ المَادِي وَالذَاتِي »[1].

فجميع المعاجم العربية تتفق حول المفهوم اللغوي للمعنى وهو الاهتمام بشيء ما ومحاولة تفسيره وفهمه، وهذا المستوى من الفهم يمثل أحد أنواع المعاني وهو المعنى الحقيقي للكلمات والذي وضع وضعا أصليا لها.

2_2_المفهوم الاصطلاحي:

إن تحديد المفهوم الاصطلاحي للمعنى لا يبتعد كثيرا عن المفهوم اللغوي إذ أنه يمثل في نظر الأصوليين الصورة الذهنية الحاصلة في الذهن، وهي تقع في مقابل اللفظ [2]، أي أن المعنى هو صورة الشيء المتلفظ به التي ترتسم في ذهن المتلقي حين سماع ذلك اللفظ، وهو العلاقات التي تربط بين تلك المفردات عندما تركب في جمل، وهذه العلاقات حقيقتها ما يسمى المعنى [3]، وحين ترتسم صورة الشيء الذي دل عليه ذلك اللفظ في ذهن المتلقي، هناك مرحلة أخرى تسبق ذلك، وهي مرحلة تحليل كلام المتكلم وربط عناصر كلامه بعضها بعض، وذلك الربط هو ما يشكل المعنى.

وهناك من يذهب إلى أبعد من ذلك من حيث كَوْنُ المعنى هو الصورة الذهنية، وذلك إذا وضعت بإزائها الألفاظ، فاللفظ إذا وقع في الذهن سمّي مفهوما ومن حيث ثبوته في الخارج سمّي حقيقة [4]، وهذا الشيء المرتسم في الذهن يمثل الدلالة المستقرة في الصورة كما تستقر الروح في الجسد [5]، وتدور حول هذه الفكرة للمعنى مفاهيم كثيرة للعلماء كأن يكون إذا

---

[1] _ معجم الوسيط، مادة(عنى)، ص633.

[2] _ ينظر: عبد الحميد عبد الواحد، الكلمة في التراث العربي اللساني، مكتبة علاء الدين، صفاقص، ط1، 2004، ص370.

[3] _ ينظر: محمد حسن حسن حيل، دفاع عن القرآن، البربري للطباعة، بسيون، مصر، ط2، 2000 م، ص 126.

[4] _ ينظر: الجرجاني علي بن محمد الشريف، معجم التعريفات، تح: صديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة، ط6، 2003، ص 185.

[5] _ ينظر: غازي مختار طليمات، في علم اللغة، ص 208.

ارتسم في الخيال مسموع اسم، ارتسم في النفس معنى فتعرف النفس أن هذا المسموع لهذا المفهوم، فكلما سمع ذلك اللفظ تعرف النفس معناه[1].

أما اللسانيون الغربيون فعرّفوا المعنى بأن هـوظيفة السياق [2]؛ بمعنى أن السياق لا يتجلى دوره إلا بتوجيه المعاني وكشفها، بل هناك من يرى بأن المعنى هو مجموعة العلاقات الموقفية[3]، أما على المستوى اللغوي اللفظي فالمعنى هو ما يفهم من السياق اللفظي [4]، معنى ذلك أنه يمثل العلاقة المنطقية التي توجد بين الكلمات والجمل ، مهما كانت نوعية هذه الجمل شرط أن تكون جيدة التركيب ممكنة التأويل.

أما من وجهة النظرية السلوكية فالمعنى هو الذي يحفز الإنسان للتلفظ [5]، فيصبح بذلك المعنى انعكاسات لأشياء نفسية، وورد في نظرية الاستعمال أن معاني الكلمات لا تظهر إلا خلال استعمالها في اللغة [6]، وبذلك فالمعنى لا يظهر إلا إذا وضعت الكلمة في نسق لغوي معين لتصبح جزء منه، أما نظرية التحقق فالمعنى من وجهتها يكمن في التحقق من مدى صدق هذه الجمل أو كذبها[7]، أما نظرية الأفعال اللغوية (speech acts theory) فالمعنى فالمعنى عندها يكمن في اختيار الأفعال اللغوية التي نستعملها[8]، والمعنى في نظرية الأثر يمثل ما يتركه المتكلم من آثار في ذهن المتلقي [9]، نخلص إلى نتيجة تفيد بأن المعنى لا يرتبط بصورة مباشرة بالتجربة الحسية وإنما يشكل هدفا لكل من يهتم بالكليات المجردة[10].

---

[1] _ ينظر: محمد يوسف حبلص، أثر الوقف على الدلالة التركيبية، دار الثقافة العربية، القاهرة، 1414هـ/1993 م، ص 58.

[2] _

[3] _ ينظر: هبلش، تاريخ علم اللغة الحديث، تر: سعيد حسن خيري، مكتبة الزهراء، القاهرة، ط1، 2003م، ص 160

[4] _ ينظر: عزمي إسلام، مفهوم المعنى، حوليات كلية الآداب، جامعة الكويت، ع8، 1985م، ص 13.

[5] _ ينظر: عبد المجيد جحفة، مدخل إلى الدلالة الحديثة، دار توبقال، الدار البيضاء، ط1، 2000م، ص 26.

[6] _ ينظر: المرجع نفسه، ص27.

[7] _ ينظر: المرجع نفسه، ص29.

[8] _ ينظر: المرجع نفسه، ص30.

[9] _ ينظر: المرجع نفسه، ص31.

[10] _ ينظر: المرجع نفسه، ص37.

ويرتبط المعنى في اللسانيات بالعلامة اللغوية إذ أنه يمثل علاقة متبادلة بين الدال والمدلول، فالفظ هو الدال، والصورة الذهنية هي المدلول[1].

من خلال المفاهيم المختلفة لمصطلح المعنى نج د أنه ينقسم إلى ثلاثة أنواع: النوع الأول هو المعنى الحقيقي للكلمة أو ما وضع أصلا لها، والنوع الثاني يتولد من الاستعمال والتطور اللغوي للألفاظ فيتطور معناها كذلك ، أما النوع الثالث فهو المعنى الوظيفي الذي ينتج عن إسناد الألفاظ وتركيبها مع بعضها بعض[2].

3_البيان:

بما أن الدراسة التي يقوم عليها هذا البحث هي دراسة بيانية، فلابد من توضيح مفهوم البيان.

3_1_المفهوم اللغوي:

« البَيَانُ مَا نُبَيّنُ بِهِ الشّيْءَ مِنَ الجَلَالَةِ وَغَيْرِهاَ، وَبَانَ الشَّيْءُ: اتَّضَحَ، وَالتَّبْيِينُ: الإِيضَاحُ وَالوُضُوحُ، وَالبَيَانُ الفصَاحَةُ وَاللَّسْنُ، وَفِي الحَدِيثِ: إِنَّ مِنَ البَيَانِ لَسِحْرًا»[3] ، فالبيان هو كشف ما في النفس من أفكار أو مشاعر بأبلغ الألفاظ وأفصحها والتي تدهش السامع.

« وَبَانَ الشّيْءُ لِي، وَتبَيَّنَ، وَأَبَانَ وَاِسْتَبَانَ، وَجَاءَ بِبَيَانِ ذَلِكَ وَبَيِّنَتِهِ أَيْ بِحُجَّتِهِ، وَمَا رَأَيْتُ أَبْيَنَ مِنْهُ أي رَجُلٌ فَصِيحٌ ذُو بَيَانٍ، وَظَهَرَتْ أَمَارَةُ الخَيْرِ وَتَبَايِينُهُ، وَتبَيَّنْ فِي أَمْرِكَ: أي تَثَبَّتْ وَتَأَنَّ »[4]، فالبيان هو الوضوح والإظهار والتّثبّت على الشيء.

« وَأَبَانَ: أَظْهَرَ وَاِتَّضَحَ، وَفُلَانٌ أَفْصَحَ عَمَّا يُرِيدُ وَبَيَنَ، ظهر وَاِتَّضَحَ، وَيُقَالُ: بَيَّنَ الشَّجَرُ: بَدَا وَرَقُهُ أَوَّلَ مَا يَنْبُتُ، وَ اِسْتَبَانَ: ظَهَرَ وَاَتَضَحَ، وَالبَيَانُ: الحُجَّةُ وَالمَنْطِقُ الفَصِيحُ، وَالبَيَانُ كَلَامٌ

[1] _ ينظر: محمد يوسف حبلص، ص58.

[2] _ ينظر: الخالدي كريم حسين ناصح، نظرية المعنى في الدراسات النحوية، دار صفاء، عمان، ط1، 1427هـ/2006م، ص 11.

[3] _ ابن منظور، مادة (بين)، ج1، ص543

[4] _ الزمخضري ، أساس البلاغة ، مادة (بين)، ج1 ، ص 88.

يَكْشِفُ عَنْ حَقِيقَةِ الحَالِ، أَوْ يَحْمِلُ فِي طَيَّاتِه بَلَاغًا، وَعِلْمُ البَيَانِ هُوَ عِلْمٌ يُعْرَفُ بِهِ إِيرَادُ المَعْنَى الوَاحِدِ بِعِدَّةِ طُرُقٍ» [1]. فمجمل المفاهيم اللغوية للبيان تشير إلى انه إظهار المتكلم المراد للسامع فهو إظهار المعنى وإيضاح ما كان مستورا والدراسة البيانية في هذا الموضوع ترتبط بالمفهوم اللغوي للبيان، إذ سيتم كشف السياق الذي يعمل كموجه للمعاني في سورة الكهف.

3_2_المفهوم الاصطلاحي:

بما أن الدراسة ترتبط بالقرآن الكريم فان البيان هو « بيان ما فيه خفاء من المشترك أو المشكّل أو الم جمل، أو الخفي، كقوله تعالى:﴿ وأقيموا الصلاة و آتوا الزكاة﴾ (البقرة: 43) فالصلاة مجمل، فلحق البيان بالسنة، وكذا الزكاة مجمل في حق النصاب و لحق البيان بالسنة»[2].

والبيان« اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى، فبأي شيء بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى فذلك هو البيان في ذلك الموضع، وهو الدلالة الظاهرة على المعنى الخفي»[3]، فالمفهوم الاصطلاحي للبيان لا يبتعد كثيرا عن المفهوم اللغوي إذ كلاهما يشير إلى أنه كشف المعاني وإظهارها من طرف المتكلم بطرق عدة حتى تحصل الفائدة لدى المتلقي.

إن كلا من السياق والمعنى والبيان هي عناصر تربط بينها علاقة مشتركة، فوظيفة كل عنصر هي كشف الغموض والالتباس الذي يكتنف الكلام سواء أكان منطوقا أو مكتوبا وقد وعى العلماء القدامى والمحدثون وظيفة هذه العناصر فاهتموا بها و أفردوا لها أبوابا

---

[1] _ معجم الوسيط، ص79،80.

[2] _ الجرجاني علي بن محمد الشريف، ص43،44.

[3] _ الجاحظ أبو الفتح بن عثمان، البيان والتبيين، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة ، ط7، 1418هـ/1998م، ج1، ص75.

في مؤلفاتهم وأقاموا لها نظريات، وقد تم عرض المفاهيم المختلفة لكل من السياق والمعنى والبيان في مدخل هذا البحث لأنها وقعت في صياغة عنوان البحث أولا ولأهميتها حين تتضافر في تدبر آيات الذكر الحكيم ثانيا.

المبحث الأول: السياق في الدراسات التراثية العربية.

يمثل التراث العربي صرحا ضخما يضم مختلف التأليفات، في جميع العلوم المرتبطة باللغة العربية، من نحو وبلاغة ومعاجم، كما يضم ما هو غير لغوي خالص ككتب التفسير والقراءات القرآنية ومعاني القران وإعرابه، فاستطاع العلماء القدامى بذلك صنع كيان معرفي يمثل سمة الحضارة العربية الإسلامية بين باقي الأمم، وذلك إن دل على شيئا إنما يدل على رجاحة عقول هؤلاء العلماء وخوفهم على اللغة العربية من الضياع، وحفاظا على كتاب الله عز وجل .

وأضحى من حق هذه المؤلفات التراثية على الباحثين المعاصرين إعادة بعثها و إحيائها، سواء بدراستها أو تحقيقها، أو شرح ما يبدو غامضا منها، كمحاولة لبيان ما توصل إليه القدامى من دراسات تخدم ما حدث للغة العربية من تطور، ومحاولة إسقاط القديم على الجديد من علوم اللغة العربية .

وميزة المصادر التراثية العربية عناية أصحابها بشرح الظواهر اللغوية وغير اللغوية وتفسيرها والتمثيل لها، دون الاهتمام بالمصطلحات التي تندرج تحتها تلك الظواهر، أو تَعْيِينِهَا بمُسَمَّيَاتٍ تَخُصُّهَا وتُحَدِّدُهَا، ليسهل البحث فيها، لذلك على الباحث في هذا المجال أن يمعن البحث في ما استعمله هؤلاء العلماء من مصطلحات، أشاروا بها إلى ما ظهر في العصر الحديث من مسميات صريحة لتلك الظواهر، وهو ما يمتاز به الدرس اللغوي الحديث.

ومن بين تلك الظواهر التي تناولها العلماء القدامى، بالتحليل والدراسة ظاهرة " السياق" في مجالات كثيرة كالنحو والبلاغة وعلوم القران، ومصطلح " السياق " في كل من النحو والبلاغة لم يرد بهذا اللفظ الصريح، وإنما ورد بمصطلحات أخرى كالحال والمقام ومقتضى الحال والمقال، والنِّصْبَة[1] .

1 – ينظر: الجاحظ عمرو بن بحر، البيان والتبيين، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط7، 1418هـ/ 1998 م، ج1، ص76، ويقصد بها الحال.

أما بالنسبة لعلوم القرآن فقد تمت الإشارة إلى المصطلح " السياق " إشارة صريحة، في كتاب " الرسالة " للإمام الشافعي في باب " الصنف يبين سياقه معناه" [1]، وذكر كذلك في مؤلفات الحديث النبوي الشريف كصحيح البخاري ومسلم، وفي سنن النسائي وابن ماجة كما جاء في شرح النووي وكتاب "البداية والنهاية" لابن كثير [2]، وهو ما يكشف أن السياق كمبدأ كان يُعمل به منذ زمن الرسول صلى الله عليه وسلم، كما ذكر وفي كثير من كتب التفاسير القرآنية ذلك أن السياق يعد أحد العناصر المهمة في تفسير الآيات الكريمة .

تربط بين العلوم العربية علاقة تأثير وتأثر، فلا يمكن دراسة علوم البلاغة أو علوم القرآن دون معرفة عميقة بعلم النحو، واستنادا لذلك فسيتم التطرق في هذا المبحث الأول إلى: ظاهرة السياق بين النحو والبلاغة لارتباطهما الوثيق كما سبق الذكر، وصولا إلى مكانة السياق في تفسير القرآن من خلال السياق القرآني .

[1] _ ينظر: الشافعي، الرسالة، تح: أحمد محمد شاكر، دار الكتب العلمية، بيروت، د ط، د ت، ج1، ص62

[2] _ ينظر: عيد بلبع، السياق وتوجيه دلالة النص (مقدمة في نظرية البلاغة النبوية)، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط1، 1429هـ/2008م، ص 123،124 .

1- السياق بين النحو والبلاغة :

إن المتأمل لحركة الكلمة في اللغة العربية يجد أنها تدور حول معنيين أساسي: المعنى المعجمي أو المعنى المركزي للكلمة؛ حيث يأتي هذا المعنى مجردا ضيقا يمثل أول ما يتبادر إلى الذهن حين سماع ذلك اللفظ لأول وهلة، فلا يعبر عمّا في الكلمة من دلالات أكثر اتساعا شمولا، ولا يختلف فيه أبناء الجماعة اللغوية الواحدة، والكلمة في هذا المستوى لا تحقق وظيفتها الإبلاغية على أكمل وجه، إلا بوضعها في استعمالات أخرى، وفتح المجال أمام السياقات التي تمثل الموجه للمعاني، وهنا يأتي المعنى الثاني للكلمة، وهو المعنى السياقي؛ فالكلمة بمغادرتها المعجم واستقرارها في التركيب تُلغي جُلّ الاحتمالات التي تُفهم منها لـتقيد بمعنى واحد من تلك الاحتمالات هذا المعنى يحدده السياق الذي وضعت فيه الكلمة، فيكسبها ذلك قيمة معنوية في التركيب[1].

[1] - ينظر: هادي نه، علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي، دار الأمل، الأردن، ط1، 2007 م، ص215، ونواري سعودي، موقع الدلالة السياقية في المعاجم العربية، مجلة كلية دار العلوم، جامعة فرحات ،عباس، سطيف، الجزائر، ع 6، 2011 م، ص48.

1_1_السياق والنحو:

دراسة التراث النحوي توصل إلى حقيقة مفادها أن أصول النحو ومعانيه رغم كونها تستند إلى منطلقات عقلية ومنطقية، إلا أنها ليست مجرد قواعد جامدة أو مقاييس محددة بل تراعي الجوانب الفنية والأحوال النفسية للمتكلم والمتلقي[1]، وهو ما سيتم توضيحه.

والمسائل النحوية تنطلق من السياق أوّلا وقبل كل شيء، حيث يلاحظ النحاة ما يطرأ على أحوال الجملة من تغيرات ، ويسجلون هذا التغير انطلاقا من العناصر المكونة للتحليل السياقي، ليبينوا خصائص هذه الكلمات في السياق، فوجدوا للكلمة بنية ولمكانها في الجملة رتبة، وفي علاقتها مع الكلمات ارتباطا ومطابقة ووَعُوا أن للكلمة مع ما بعدها وقبلها من الكلمات علاقة خاصة، أكثر من علاقتها مع بقية العناصر، فكانت هذه الملاحظات هي الموجه لتفكير النحاة في وضعهم للنحو[2].

ومن المسائل التي درسها النحاة، والتي تمثل إحدى مجالات السياق هي:

_ التعريف والتنكير.

_ تعدّد الإعراب .

_ التقديم والتأخير.

_الذكر والحذف.

---

[1] – ينظر: عبد الستار الجواري ، نحو المعاني ، مطبعة العلمي العراقي ، د ط، 1987 م ، ص33.

[2] – ينظر: تمام حسان، مقالات في اللغة والأدب، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1427 هـ/2006 م، ج2، ص66.

1_1_1_التعريف والتنكير:

التعريف لغة : « هو الإعلام، وهو ضد التنكير» [1]، أما من حيث الدلالة فيرتبط بإيضاح حقيقة الشيء وبيانها، كما يرتبط بالإعلام والتسمية.

أما **التنكير**: فيرتبط بغموض الشيء وعدم تخصيصه وتحديده، فهو ضد البيان والوضوح[2].

والتعريف والتنكير من أهمّ المباحث النّحوية التي اعتنى بها النحاة، لأهميته في شرح الكثير من الأحكام، حيث كان يطلق عليه في بدايات الدرس النحوي «المعرفة والنّكرة » وتعد النكرة أصلا والمعرفة فرعا عنها، ذلك أن النكرة أخف في النطق من المعرفة وهي أشدّ تمكُّنًا، والناس تميل للتعميم فتنطق بالاسم نكرة، ثم إذا جاؤوا لتخصيص شيء ما أدخلوا ما يُعرّف ذلك الاسم، ولذلك أكثر الكلام يأتي نكرة [3].

والسبب أن الاسم النكرة يقع على شيء من جنس واحد مثل قولك: (رجل، فرس)، دون تخصيص أحدهما على الآخر، أو دون تمييز اسم على اسم آخر من جنس واحد، فكل اسم عَمَّ اثنين أو أكثر فهو نكرة [4]، والنّكرة تنقسم إلى قسمين: القسم الأول؛ هو أن يكون الاسم في أول وضعه نكرة مثل: (فرس، حجر)، أمّا القسم الثاني؛ فأن يكون الاسم صار نكرة بعد أن كان معرفة، في مثل أن يُسمَّى إنسان ما بعمرو، فيشتهر بهذا الاسم، وإذا سُمِّيَ

---

[1] _ الفيروز أبادي، القاموس المحيط، تح: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، دمشق، مادة (عرف)، ط8، 1426هـ/2005م، ج1، ص180.

[2] - ينظر: أحمد عفيفي، التعريف والتنكير في النحو العربي (دراسة في الدلالة والوظائف النحوية)، مكتسبة الزهراء، القاهرة، (د ط)، (د ت)، ص19.

[3] - ينظر: سيبويه عثمان بن قنبر، الكتاب، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1408هـ/ 1988م، ج1، ص22.

[4]- ينظر: المبرد أبو العباس، المقتضب، تح: محمد عبد الخالق عظيمة، عالم الكتب، بيروت، (د ط)، (د ت)، ج2، ص276.

به شخص آخر، ويقول قائل: (رأيت عمرا)، فأي العَمْرَينِ يقصد؟ لذلك تدخل عليه أدوات التعريف إذا كان مثنى أو جمعا[1] .

وظاهرة التعريف والتنكير ترتبط بعلم المخاطب أو جهله[2]، فالمتكلم يستعمل اللفظ نكرة إذا كان المُخَاطَبُ يجهل مراد المتكلم، أما إذا كان يعلم مسبقا ما يحاول المتكلم توصيله فيستعمل اللفظ معرفا، إذن ترتبط هذه الظاهرة بعلم المخاطب خاصة، فيذكر المتكلم ما يعلمه هو ولا يعلمه المتلقي فيكون نكرة عنده، كأن يقول قائل: (في منزلي رجل) ، فالمتكلم يعرف الشخص الذي في منزله أما المخاطب فيجهله [3]، لذلك لابد على المتكلم أن يوضح كلامه مراعاة للسياق.

كما ربط النحاة بين الابتداء في الكلام وظاهرة التعريف، إذ أن التعريف يحتل موقع الابتداء وذلك مراعاة لحصول الفائدة من الكلام، أما التنكير فيبتعد عن الابتداء حتى لا يقع التباس اجتماع النكرة والابتداء، وهي قاعدة مطلقة للابتداء في النحو، فـ " كان وأخواتها " مثلا إذا أردنا أن نحدد اسمها وخبرها في التركيب وجاء بعدها اسم نكرة وآخر معرفة، فإن من المعلوم أن الاسم المعرّف والفعل "كان" بمثابة الشيء ذاته، لذا فهي مرتبطة به ويمثلان الابتداء في الكلام، فإذا قلت: (كانَ عَبْدُ اللهِ مُنْطَلِقًا)، فإنك تبتدئ بالأَعْرَفِ ثم تذكر الخبر[4] .

---

[1] – ينظر: ابن السراج، الأصول في النحو، تح: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط4، 1999م، ج1، ص148.

[2] – ينظر: غراتشيا غابوتشان، نظرية أدوات التعريف والتنكير وقضايا النحو، تر: جعفر دك الباب، مؤسسة الوحدة، (دط) 1401هـ/1980م، ص105.

[3] – ينظر: الأعلم الشنتمري، النكت في تفسير كتاب سيبويه، تح: يحيى مراد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2005م، ج1، ص216.

[4] – ينظر: سيبويه، ج1، ص47

أما إذا قلت: (كَانَ زَيْدٌ حَلِيمًا)، فالتعريف هو المحدد للاسم والمخبر عنه حتى تحصل الفائدة عند المتلقي لأن الاسم والخبر يتساويان في المعرفة ويختلفان في النكرة [1].

وإذا كان الابتداء يختص بالاسم المُعرّف فالفائدة عند المخاطب ترتبط بالخبر الذي يمثل النكرة في التركيب، فإذا قلنا: (كَانَ زَيْدٌ)؛ بدأنا بما هو معلوم لدى المخاطب ومعلوم كذلك لدى المتكلم، والمخاطَب الآن ينتظر مالا يعلمه ويَكْمُنُ في الخبر فإذا أَتْمَمْنَا الكلام وقلنا: (حَلِيمًا)، فقد أعلمنا المخاطب بحال زيد[2]، إذن حال المتكلم والمخاطب هو ما راعاه النحاة في صياغة القاعدة النحوية، إذ إن المتكلم يبتدئ بما هو معلوم لديه ولدى المتلقي ثم يُرْدِفُ كلامه بالنَّكرة وتُمَثِّلُ الخبر الذي يجهله.

ونلاحظ أن كلا من المعرفة والنكرة من حيث المصطلح يحملان في ذاتهما هذا المعنى من العلم والجهل، فالمعرفة تحمل معنى العلم بالشيء ووضوحه، أمّا النّكرة فتدل على شيء يجهله الناس، فإذا بُدئ الكلام بنكرة فهو غير مستقيم لأن الفائدة لا تحصل لدى المخاطب، ولابد من وجود توازن في درجة علم كل من المتكلم والمخاطب، ولا يحصل ذلك إلا بحسن صياغة الكلام ومراعاة السياق.

1_1_2_ تعدد الإعراب:

تحتمل الكلمة الواحدة في الجملة ذاتها أوجها إعرابية عدة، ممًا يؤدي إلى اختلاف دلالة الجملة، وقد بين النحاة دور السياق على اختلاف أنواعه في توجيه ذلك التعدد الإعرابي تبعا لتعدد المواقف التي تقال فيها التراكيب، وما يحدث بين أطراف العملية الخطابية، فكل وجه إعرابي يشير إلى موقف معين يرد فيه مراد المتكلم وفائدة المخاطب[3].

---

[1] – ينظر: أسعد خلف العوادي، سياق الحال في كتاب سيبويه (دراسة في النحو والدلالة)، دار الحامد، عمان، ط1، 1432هـ/2011م، ص120

[2] - ينظر: سيبويه، ج1، ص48،49.

[3] – ينظر: أسعد خلف العوادي، ص93، 94.

وللرّفع معنى يختلف عن معنى النصب إذا ظهرا على الكلمة ذاتها، فإذا مر رجل بشخص معين وكان الشخص في حال تعلُّم وتفقُّه فيقول الرجل: (حَسَبٌ حَسَبُ الصَّالِحِينَ) وذلك لِمَا بَدَا له من هيبة الشخص، وهو ما دعاه لذكر الكلام مرفوعا، وإذا أراد نصبه قال: (عِلْمٌ عِلْمَ الفُقَهَاءِ)، وكأنّ الرجل في حال تعلّم لكنه لم يكمل تعلّمه بعد، فالرفع يختص بحال الشخص بعد إكماله تعليمه وصار عالما، أما النصب فيُبَيِّنُ أن الرجل لم يكمل بعد تعلُّمه وتفقّهه.[1]

وكذلك الحال بالنسبة لتناوب الخبر والحال على الكلمة نفسها، فينفرد كل منهما بموقف معين فجملة: (هذا الرَّجُلُ مُنْطَلِقٌ)، وجملة: (هذا الرَّجُلُ مُنْطَلِقًا)، في حالة الخبر (هذا الرَّجُلُ مُنْطَلِقٌ)، (الرجل) صفة لـ(هذا) وهما بمنزلة اسم واحد، كأنه قيل: (هذا مُنْطَلِقٌ)، أما في جملة الحال: (هذا الرَّجُلُ مُنْطَلِقاً) (فالرجل) مبني على (هذا) و جعل " الخبر " حالا له، فكأنه قيل: (هَذَا عَبْدُ اللهِ مُنْطَلِقًا، فالقائل يريد أن يُذَكِّر المُخَاطَبَ برجل يعرفه من قبل، أما في حالة الخبر أي الرفع فلا يريد أن يُذَكِّرَ بأحد وإنما أشار فقط فقال: (هَذَا مُنْطَلِقٌ)[2] .

كما يُعدّ السياق المُوجِّه للسؤال والجواب في كيفية صياغتهما، فإذا سأل سائل: « مَنْ رَأَيْتَ؟ وأَيُّهُمْ رَأَيْتَ؟، يقول: زَيْدَا رَأَيْتُهُ، تُنْزله منزلة قولك: كَلَّمْتُ عَمْرًا، وزَيْدًا لَقَيْتُهُ، ألا ترى أن الرجل يقول: مَنْ رَأَيْتَ؟ فتقول: زَيْدًا، على كلامه فيصير هذا بمنزلة قولك: رَأَيْتُ زَيْدًا وَ عَمْرًا، يجري على الفعل كما يجري الآخر على الأول... فإنما قال: مَنْ رَأَيْتَهُ؟ وأَيُّهُم رَأَيْتَهُ؟ فأجبته قلت: زَيْدٌ رَأَيْتُهُ، فإنما تحمل الاسم على ما يحمل السائل »[3]، فالمتلقي يصوغ إجابته حسب صياغة المتكلم للسؤال فإذا سأل عن فاعل كان الجواب مرفوعا وإذا سأل عن مفعول كان الجواب منصوبا.

---

[1] - ينظر: سيبويه، ج1، ص 362،361.

[2] – ينظر: المصدر نفسه، ج2، ص 87،86

[3] – المصدر نفسه، ج1، ص 94،93.

وفي مسألة إعمال بعض الأفعال أو إهمالها يأتي السياق مسؤولا عن ذلك، فالمتكلم إذا كان على يقين ممّا يقوله ابتدأ كلامه بما هو متأكد منه، ثم إذا راوده الشك فيدخل " ظن أو إحدى أخواتها" ليعرف المخاطب أنه في حال شك مما يخبر به، فتأخير " ظن" في هذا المقال يتوافق مع حال المتكلم، وإذا كان على يقين تام من كلامه يبطل عملها، في مثل قولنا: (زَيْدًا رَأَيْتُ أَظُنُّ)، و(رأَيْتُ زَيْدًا)[1]، فإرادة المتكلم ونيَّته هي من تتحكم في إعمال "ظنّ و أخواتها" في التركيب أو إهمالها.

ونلاحظ في بعض الحالات الإعرابية الاستثنائية أن الفاعل يأتي منصوبا والمفعول مرفوعا، خاصة ما تقتضيه الضرورة الشعرية، يقول الأخطل:

عَلَى العِيَارَاتِ هَدَّاجُونَ، قَدْ بَلَغَتْ ****** نَجْرَانَ أَوْ حُدِّثَتْ سَوْءَاتِهِمْ هَجَرُ [2]

يعلّق السيرافي على هذا البيت قائلا: « أراد: بَلَغَتْ نَجْرَانَ سَوْءَاتُهُمْ أَوْ هَجَرَ، وذلك وجه الكلام، لأن السوءات تنتقل من مكان فتبلغ مكانا آخر، والبلدان لا تنتقلن وإنما يُبْلَغْنَ ولا يَبْلُغْنَ »[3].

ويُعِدُّ ابن هشام هذا التجاوز في قواعد اللغة من باب الحفاظ على وضوح المعنى وهو من السمات الحسنة في كلام العرب « إذ من ملح كلامهم تقارض اللفظين في الأحكام » [4]، فالمعنى الذي يريده المتكلم هو الذي يفرض حالة إعرابية دون أخرى، وقد أدرك النّحاة ذلك، فإذا كان المخاطب مدركا لمراد المتكلم فلا ينظر إلى صياغة التركيب سواء أكان سليما أم

---

[1] – ينظر: سيبويه، ج1، ص120.

[2] – ينظر: ديوان الأخطل، شر: عبد الرحمان المطاوي، دار المعرفة، بيروت، ط2، 1426هـ/2005 م، ص109، البيت من بحر البسيط، قصيدة " خف القطين"، وهي في مدح بن مروان، لكنه في هذا الموضع يهجو قوم جرير .

[3]– السيرافي يوسف بن المرزبان، شرح أبيات سيبويه، تح: محمد الريح هاشم، دار الجيل، بيروت، ط1، 1416هـ/1996م، ج1، ص 212،213.

[4] – ابن هشام الأنصاري، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تح: مازن المبارك، دار الفكر، ط1، 198م، ص915.

فاسدا، من الناحية النحوية، حتى لو رفع ما يستلزم النصب، ونصب ما يوجب الرفع، وذلك أن المخاطب قد علم القصد من الكلام[1].

وهو ما يؤكد مقولة أن "الإعراب فرع المعنى"، والمعنى هو الذي يضبط الحالة الإعرابية للكلمات داخل التركيب مراعاة للسياق الذي ترد فيه، وبتحققه تكمل العملية التواصلية.
فالنحاة وضعوا في الحكم على صحة التركيب أو فساده دور السياق في ذلك والفائدة التي تتحقق عند المتلقي تقتضي شروطا تصنع من الخطاب خطابا متكاملا يبلغ رسالة واضحة من المتكلم ، ذلك أن لكل بناء تركيبي معنى يؤديه وغاية يبلغها ، ولكل صياغة لفظية وظيفة تداولية يلزمها إياها غرض الخطاب[2]، ومن هذه الأغراض مراعاة حال المتلقي والفائدة التي يسكت عنها وهي إحدى الوظائف المهمة من وظائف السياق.

1_1_3_التقديم والتأخير:

إن اللغات التي تخضع فيها الجملة لترتيب ثابت من حيث العناصر، هي لغات يتصف نظامها اللغوي بالجمود، واللغة العربية تتخذ موقعا وسطا بين تلك اللغات إذ من مزاياها أن الجملة لا تخضع لنظام صارم في ترتيب عناصرها، ويملك المتكلمون حرية في صياغة كلامهم وتقديم وتأخير ما يشا ؤون من تلك العناصر حتى يتحقق المراد فيما بينهم، بحسب المقام الذي يقتضيه الكلام[3].

---

[1]– ينظر:ابن الطراوة، البسيط في شرح جمل الزجاج، تح: عياد الشبيتي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط 1، 1407هـ، ج1، ص 262.

[2] – ينظر: مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دار الطليعة، بيروت، ط1، 2005م، ص 192،193.

[3]_ ينظر: إبراهيم أنيس، من أسرار اللغة، مطبعة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط8، 2003م، ص 297.

وما ساعد اللغة العربية على اتخاذ هذا الموقع بين اللغات الأخرى هو العلامة الإعرابية، فهي التي تعطي للمتكلم حرية ترتيب عناصر كلامه وتشكيلها وفق ما يكمن في ذهنه من معان وحسب ما يمثل العنصر الأهم عنده[1].

فالتقديم والتأخير في اللغة العربية هو أحد صور العدول النحوي عما وضعه النحاة، ووقوعه في اللغة يرجع لأسباب تتعلق بالمتكلم ذاته أو مراعاة منه لحال المخاطب، فيجعل ذلك الكلام أكثر جمالا وتأثيرا، لأنه يتطابق مع إحساس المتكلم، فيتلقاه السامع ويتأثر به بدرجة تأثر المتكلم، لأن التقديم والتأخير في عناصر التركيب مرتب حسب ترتيبه في ذهن المتكلم .

ويستحسن النحاة وقوع هذه الظاهرة في اللغة، لذا نجدها كثيرة في العربية ولعل من أبرز أسباب هذه الظاهرة هو أهمية عنصر من عناصر الجملة من بقية العناصر الأخرى، و لكن هذا التقديم والتأخير له شروط إذ نجد الخليل بن أحمد يستقبح ذلك أحيانا، فيقول سيبويه « وزعم الخليل رحمه الله أنه يستقبح أن يقال: (قائمٌ زيدٌ)، وذاك إذا لم تجعل (قائماً) مقدما مبني على المبتدأ، كما تؤخر وتقدم فتقول: (ضرب زَيْداً عَمْرُو)، على (ضَرَبَ): مرتفع، وكان الحد أن يكون مقدما، ويكون (زيداً) مؤخرا، وكذلك هذا الحد فيه أن يكون الابتداء فيه مقدما» [2].

فالنحاة لم ينظروا إلى ظاهرة التقديم والتأخير من باب الشكل فقط، و إنما ما ينضوي تحت ذلك من المعاني التي قصدها المتكلم والتي تحقق فائدة لدى المخاطب.

ومن شروط التقديم والتأخير التي يجب مراعاتها في النحو ، تقديم الاسم على الفعل خاصة إذا كان السؤال عن شخص معين، وليس عما قام به هذا الشخص كقولك: (أَزَيْداً

[1] _ ينظر: العزاوي نعمة رحيم، الجملة العربية في ضوء الدراسات الحديثة، مجلة المورد، مج 10، ع3_4، 1981م، ص 121.

[2] – سيبويه، ج2، ص 127.

لَقَيْتَ أَمْ بِشْراً ؟)، فليس السؤال عن فعل اللقاء وإنما عَمَّنْ التقى، فهو يسأل عن اسم شخص و ليس عمّا قام به الشخص، لذلك كان تقديم الاسم أحسن وكان التأخير للفعل، فرجّح النحاة تقديم الاسم[1].

فالسياق هو أحد العناصر الموجهة للأساليب النحوية في غياب القرائن الأخرى في مثل إعراب الاسم المقصور مثل: (ضرب موسى عيسى)، أمّا النّحاة فقالوا بحفظ الرتبة بينهما، أي أن عناصر هذه الجملة تعرب كما هي مرتبة، لعدم وجود قرينة إعراب تسمح بالتقديم أو التأخير لذلك فـ: موسى تعرب فاعلا، وعيسى مفعولا به، وبعد إدخال العناصر غير اللغوية وكان عيسى أكبر سنا وقوة من موسى ، ثم نسمع جملة: (ضرب موسى عيسى)، فإننا نستغرب من كيفية تحليلها إعرابيا.

فالمعرفة المسبقة لحال كل منهما تقوم مقام الإشارة الإعرابية والدليل غير اللغوي الذي يعين على إعراب الكلمات في التركيب ، ويحدد رتبتها فيه في غياب القرائن الأخرى، وذلك لأمن اللبس الذي يقع في الجمل التي لا يبرز فيها إعراب الفاعل والمفعول، ويختلف ذلك إذا قلنا: (ضرب عيسى زيدًا)، لأن هذه الجملة يتضح فيها الفاعل(عيسى) والمفعول (زيدا)[2].

ويشير ابن جنّي إلى أن الحال تبين ما يقصده المتكلم فإذا قيل: (كَلَّمَ هَذَا هَذَا فَلَمْ يُجِبْهُ)، إشارة منه إلى الرجل و الفرس، فالعلاقة بين الفعل (كَلَّمَ) والاسم (الفرس) علاقة مستحيلة أوجبت على الاسم (الرجل) أن يكون فاعلا وعلى (الفرس) أن يكون مفعولا ، وفي هذا الموضع يستحيل تقديم أحدهما على الآخر[3].

وعمد ابن جنّي كذلك إلى تقسيم ظاهرة التقديم والتأخير إلى نوعين : أحدهما يقبله القياس: وهو تقديم المفعول به على الفاعل وعلى الفعل أحيانا، والثاني يضطر إليه المتكلم

---

[1] – ينظر: سيبويه، ج1، ص 45

[2]– ينظر: عرفات فيصل المناع، السياق والمعنى (دراسة في أساليب النحو)، مؤسسة السياب، لندن، ط2، 1432هـ/2011م، ص 55.

[1]– ينظر: ابن جني، الخصائص، تح: محمد علي النجار، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ط4، 1999م، ج1، ص 36.

ويعد إحدى صور العدول في اللغة العربية، وهذا النوع الأخير يستعمل في النثر ويستعمل كذلك في الشعر للضرورة الشعرية[1].

1_1_4_الذكر والحذف:

يعد الذكر هو العنصر الأساس في التركيب العربي لأن الأصل في الجملة هو المسند والمسند إليه ولا يستغني احدهما عن الأخر، لكن الواقع اللغوي يقودنا إلى الخروج عن هذا النمط واللجوء إلى حذف بعض العناصر لأسباب عديدة منها:

_ الحالة النفسية للمتكلم

_ علم المخاطب بما سيذكره المتكلم

_ رغبة المتكلم في الاختصار

– كثرة استعمال بعض الألفاظ فيحسن حذفها من التركيب [2]

_ ذكر ما يهم كلا من المتكلم والمخاطب وحذف ما لا يهمهما.

وظاهرة الحذف والذكر من أكثر الظواهر شيوعا في اللغة العربية، يستعملها المتكلمون تحقيقا لغرض معين في أنفسهم ليحدث تطابقا مع مقتضى الحال، مع ذكرهم ما يعوض الكلام المحذوف من قرائن سواء أكانت لفظية أو حالية .

ويصرّ النحاة على ضرورة إيراد المتكلم ما يعوض المحذوف من الكلام من أدلة مقالية أو مقامية حتى لا يحدث أي خلل معنوي أو لفظي في التعبير [3]، فقد سأل سيبويه الخليل بن أحمد عن جواب الشرط في هذه الآيات: ﴿ **حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا** ﴾(الزمر: 73) والآية ﴿ **وَلَوْ يَرَى الذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ العَذَابَ** ﴾(البقرة: 165)، والآية ﴿ **وَلَوْ ترى إذ**

[2] – ينظر: المصدر نفسه، ج2، ص 384.

[2] – ينظر: سيبويه، ج1، ص 24،25.

[3] – ينظر: سيبويه، ج1، ص 74 ، وابن جني، ج2، ص 262.

وقفوا على النار ﴾(الأنعام: 27) ، فقال:«إن العرب قد تترك في مثل هذا الخبر، الجواب في كلامهم لعلم المخبَر لأي شيء وضع هذا الكلام »[1]، فالمحذوف في الكلام يحل محله ما يدل عليه حتى يبلغ قصد المتكلم المخاطَب، وجريان العرب على الحذف في كلامه ا مما أدى إلى تَكوّن معرفة مسبقة لدى المتكلمين بما يجب حذفه وما يجب ذكره .

فظاهرة الحذف والذكر لا يعتد بها في الكلام إلا إذا طابق الكلام الموقف الذي يجري فيه، ووضوح المعنى المراد من خلال ما تعوضه الدلائل السياقية فدلالة الحذف من المحذوف، دلالة شيء يقتضي معنى ما، لم يذكر في مثل تكبير الناس عند رؤيتهم الهلال فإذا سمعهم شخص ما يكبرون ولم ير الهلال يقول: الهلال ورب الكعبة، أي لقد رأوا الهلال فحذف الفعل (رأوا) عوضه الموقف المشاهد الذي جرى فيه الكلام[2].

وتعد الحواس الخمسة من الدلائل السياقية التي تعوض ما حذف من الكلام ، ذلك« أنك رأيت صورة شخص فصار آية لك على معرفة الشخص، فقلت: (عبد الله)، كأنك قلت: (ذاك عبد الله)، أو : (هذا عبد الله)، أو سمعت صوتا فعرفت صاحب الصوت، فصار آية لك على معرفته فقلت: (زيد)، أو شممت ريحا فقلت: زيد والمسك، أو ذقت طعاما ما فقلت: العسل »[3]، فالحواس تعمل كقرائن مقامية لما حذف من كلام المتكلم والمتلقي يفهم ذلك لتواضع كل منهما على ذلك لغويا.

غير أن ابن جنّي يعارض ذلك، فالحواس وحدها في نظره لا تعوّض الكلام فيقول: « أَوَلَا تَعْلَمُ أَنَّ الإِنْسَانَ إِذَا عَنَاهُ أَمْرٌ فَ أَرَادَ أَنْ يُخَاطِبَ بِهِ صَاحِبَهُ، وَيُنْعِمَ تَصْوِيرَ هُفِي نَفْسِهِ اسْتَعْطَفَهُ لِيُقْبِلَ عَلَيْهِ، فَيَقُولَ لَهُ: يَا فُلَان أَيْنَ أَنْتَ؟ أَرِنِي وَجْهَكَ، أَقْبِلْ عَلَيَّ أُحَدِّ ثْكَ .... فإِن أَقْبَلَ عليه وأَصْغَى إليه، انْدَفَعَ يُحَدّثُهُ أو يَأْمُرُهُ أو يَنْهَاهُ، فَلَوْ كَانَ اِسْتِمَاعُ الأُذُنِ مُغْنِيًا عن

---

[2]– المصدر نفسه، ج3، ص103.

[2] – ينظر: المصدر نفسه، ج1، ص 257.

[1] – سيبويه، ج1، ص 130.

مقابلة العَيْنِ، لها تَكَلَّفَ القائل ولا كَلَّفَ صاحبه الإقبال عليه والإصغاء إليه » [1]، فابن جنّي لا يُعدّ الحواس قرائن قادرة على تعويض ما حذف بل لابد على المخاطب أن يعمل فكره وقدراته العقلية حتى يعي ما حذف من الكلام .

ويجيز سيبويه حذف الكاف من اسم فعل الأمر (رويدك)، وذلك لتحديد مراد المتكلم ومن يقصد بكلامه مع مجموعة من المتخاطبين، فـ (رويدا) تلحقها الكاف وهي على وزن إِفْعَلْ في مثل قولنا: (رويدك زيدا)، و(رويدكم زيدا)، وهذه الكاف تبين المَعْنِيّ بالكلام، ذلك أن (رويداً) تطلق على المفرد وعلى الجمع وكذلك المثنى والمذكر، لذلك تدخل عليها الكاف حتى لا يقع التباس بين المخاطبين إذ ا كانوا أكثر من واحد، فحذفها يوجب مخاطبا واحدا يعلم أنه يقصده هو لا غيره، وحذفها وذكرها يكون تبعا للموقف الكلامي، فإذا كان المخاطب مقبلا عليك منصتا يعلم انك تكلمه هو يجب حذفها، وإذا كان المخاطب مُلْتَهٍ بشيء آخر وأنت تريد مخاطبته وجب ذكرها، كما أن هذه الكاف التي تلحق (رويدا) تحدد نوع المخاطب إذا كان امرأة أو رجلا، فإذا كانت امرأة يجب إلحاق الكاف ولا يجوز حذفها في هذا الموضع، فالكاف دليل لغوي عمن تريد مخاطبته[2].

ويفرّق ابن السراج بين استعمال الفعل الواحد في سياقين مختلفين، فيجيز في موضع ويمنع في موضع آخر، إضمارهأو إظهاره، فلا يحسن إضمار الفعل ما لم يكن عليه دليل لفظي أو حالي نحو قولك: (زيدا)، وأنت تريد: (كَلِّمْ زَيْدًا)، فإضمار الفعل لم يترك ما يدل عليه، خاصة إذا كان هذا المخاطب غير مستعد أو منتبه فلا يجوز إضمار هـ في هذا الموضع، أما إذا كان المخاطب منصتا واعيا لما يوجه له من كلام فهو يستغني عن أن تذكر له جميع عناصر الخطاب، أو كان في حال ضرب، وتقول له: (زيدا والعصا)، فسيعلم

---

[2]– ابن جني، ج1، ص 247.

[2] – ينظر: سيبويه، ج1، ص 244

أنك تقصد: (اضرب زيدا) [1]، فالحال المشاهدة تغني عن ذكر جميع عناصر التركيب وحال المخاطب كذلك.

ويشير الرضي الإستراباذي إلى أنواع القرائن التي تأتي كأدلة عمّا حذف من عناصر لغوية فيقسّمها إلى: لفظية وحالية، فالأولى كقولك: (من أضرب)؟ فتقول: (زيدا)، والثانية يُراعى فيها الموقف الكلامي وحال المتكلم والمخاطب ، فإذا كان المخاطب في هيئة معينة كأن يكون منتظرا آذان الصلاة، فتقول: (المؤذن)، وأنت تقصد: (لقد أذن للصلاة)[2]، فكلمة المؤذن تغني عن ذكر الجملة كاملة.

كما قسم الرضي رحمه الله الأساليب الكلامية مما يحذف إلى سماعية وقياسية، ويذكر أن سبب الحذف في الأولى هو كثرة الاستعمال مع عدم وجود ضابط يعرف به سبب الحذف[3]، فالأسلوب هو الذي يتأثر بالاستعمال وليس العكس.

أما ابن جنّي فيجعل السياق ضابطا نحويا يُسَوِّغُ الحذف وينوب مناب الأفعال الناصبة، وقد عقد بابا أسماه: " باب في أن المحذوف إذا دلت عليه الدلالة كان في حكم الملفوظ به "، فدلالة الحال عند ابن جني تقوم مقام الألفاظ ، فرؤية شخص يسدد سهم ا نحو تفاحة في شجرة، ثم نسمع بعد ذلك صوتا فنقول: التفاحة، أي: (أصابَ التفاحةَ) فالفعل (أصاب) في حكم الملفوظ وإن لم يرد ذكره، غير أن المقام الذي جرى فيه الحدث ناب مناب التلفظ به[4].

---

[1] – ينظر: ابن السراج، الأصول، ج2، ص247

[2] - ينظر: الرضي الإستربادي، شرح الكافية، تص: يوسف حسن عمر، منشورات جامعة قاريوس، (د ط)، 1978م، ج 1، ص 339، 340 .

[3] – ينظر: الرضى الإستربادي، ص 340.

[4] – ينظر: ابن جني، ج1، ص 293

كما أن العودة إلى سياق التركيب السابق واللاحق تعين على معرفة ما حذف منه فالآية الكريمة: ﴿ بل ملة إبراهيم حنيفا ﴾(البقرة: 135)، حذف منها الفعل (نتبع)، وتقدير الآية: (نتبع ملة إبراهيم)، فالفعل عامل نصب (ملة) وما دل على أنه قد حذف العودة إلى الآية السابقة قوله تعالى:﴿ كونوا هودا أو نصارى﴾(البقرة: 135)، فكأنهم قيل لهم: (اتبعوا) حين قيل لهم: (كونوا هودا أو نصارى)[1].

ويهتم النحاة بتوضيح الحال المصاحبة للتركيب للحكم على العبارة بالحسن أو القبح وذلك أن رجلا تعرفه، أراد أن يخبر عن نفسه أو عن غيره بأمر ما، يقول: (أنا عبد الله منطلقا)، و (هو زيد منطلقا)، كان ذلك خطأ في صياغة التركيب ، لأنه أراد أن يخبر بالانطلاق، فوجب حذف (هو) و(أنا) لأن المخاطب يعرف المتكلم ويعرف عمن يتكلم، غير أنه لو كان رجل خلف الحائط أو في مكان مجهول فتقول: (من أنت) ؟ فعليه أن يجيب: (أنا عبد الله منطلقا)، وهو التركيب الأصح[2]، فاختلاف الموقف الذي يقال فيه الكلام يؤدي إلى اختلاف صياغته اللغوية فقد تأتي صحيحة أو فاسدة وذلك بمراعاة ما يذكر من عناصر الجملة وما يحذف منها.

أما من باب الذكر والذي يأتي لازما، ذكر (قد) عندما تأتي جوابا و تأكيدا لما مضى، فيقول شخص ما: (لمَّا يَنَمْ) ؟ فتقول: (قد نام)، وأشار الخليل أن (قد) تفيد تأكيد الخبر.[3]

فيجب مراعاة الموقف الذي يجري فيه الحدث اللغوي ومراعاة التوازن بين علم المتكلم وعلم المخاطب إذ« لا يستقيم أن تخبر المخاطب عن المذكور، وليس هذا بالذي ينزل به المخاطب منزلتك في المعرفة، فكرهوا أن يقربوا باب اللبس »[4].

---

[3]– ينظر: سيبويه، ج1، ص 257 .

[2]– ينظر: سيبويه، ج2، ص 80، 81 .

[3] – ينظر: المصدر نفسه، ج4، ص 223 .

[4] – المصدر نفسه، ج1، ص 48 .

فإذا كان هناك اتفاق لغوي بين المتكلم والمخاطب وفق نظام لغوي واحد من عرفهما اللغوي، فان الالتباس في الذكر والحذف يقل وقوعه في الكلام.

من خلال ما تقدم من بيان مجالات السياق في النحو، فإننا نقر بوعي النحاة للسياق على اختلاف أنواعه سواء اللغوي أو ملابسات الكلام من عناصر غير لغوية، فالنحاة قد فزعوا للسياق من خلال بيانهم لما يعرض في بناء المادة اللغوية من ظواهر تخالف الأصول النحوية التي وضعوها، ومن خلال وصفهم الموقف الذي يجري فيه الخطاب وما يتماشى مع هذا الخطاب من حال المتكلم والمخاطب وموضوع الكلام، فخرجوا بنتيجة يوضحها وضعهم لقواعد ثابتة تحكم هذه اللغة.

وهو ما أشار إليه عبد السلام المسدي، من أنه لا يمكن الإغفال عن تنبه النحاة في تفسير المظاهر الطارئة على بنية التراكيب النحوية في اللغة وتعليلها وفي جهاز التحاور وسيطرته على طرق الحدث التخاطبي، فمبدأ التفاهم يعد معيار ضبط المضمر أو التصريح به في الكلام، واستنبط النحاة قانون التناسب العكسي بين طاقة التصريح بالعناصر اللغوية وبين علم السامع بمضمون الرسالة[1] .

فالنحويون القدامى رغم كونهم لم يشيروا إلى السياق كمصطلح ، لكنهم عبروا عن مفهومه ومجالاته ودوره في توجيه المعاني مستعملين في ذلك مصطلحات عدة كالكلام المتكلم، المخاطب، نية المتكلم وغرضه، علم المخاطب، ملابسات الخطاب، فقد أدركوا عنصر السياق في فترة مبكرة.

والعلاقات النحوية ليست لها قيمة في ذاتها، أو اختيار الكلمات ووضعها الموضع الذي يجب، إ ذا لم ينظر إلى السياق الذي تسرد فيه والذي يوجه تلك العلاقات ويصوغ الكلمات منتظمة مع بعضها وفق قواعد ثابتة، وهو ما نوّه به العالم الغربي كارتر من أن

[1] _ ينظر: المسدي عبد السلام، التفكير اللساني في الحضارة الغربية، دار العربية للكتاب، ليبيا، ط1، 1981م، ص337.

النحاة القدامى نظروا إلى الفعل الكلامي على أنه شكل من أشكال السلوك الاجتماعي وبذلك يمكن إطلاق أحكام الحسن والقبح عليه، وهي أحكام أخلاقية ثقافية[1].

كما تعد القواعد والنُّظُم اللغوية بمثابة آلة التبليغ بين المتكلم والمستمع، وقد عبر عن ذلك ابن جنّي بأبلغ عبارة حين قال: " حد اللغة أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم "[2]، فالنحاة درسوا اللغة في المحيط الذي تنجز فيه، ولم يقتصروا على تحليل الكلام بمعزل عن العوامل الخارجية التي تحيط به، دليل ذلك أنهم جمعوا المادة اللغوية من أفواه الأعراب الفصحاء ووضعوا شروطا صارمة لذلك، وهذا الجمع اللغوي صاحبه وصف للمواقف التي يقال فيها الكلام.

فنظروا إلى اللغة على أنها نشاط إنساني يتفاعل مع المحيط والظروف، كما تنبّهوا لوظيفة الكلام ومعانيه في عملية التواصل الاجتماعي، و أن كلا من تلك الوظيفة وذلك المعنى يرتبط بالسياق وما فيه من أحداث، رغم أنهم لم يُدَوِّنُوا تلك الملاحظات أثناء وضعهم لمبادئ التقعيد و التأصيل لنظريتهم اللغوية[3] .

كما أدرك النحاة أن عناصر الجملة لا تكفي لاستنباط القاعدة، وأن هناك عناصر سياقية تسهم في تحديد معاني التراكيب، فاعتمدوا ذلك مبدأ في وضع القواعد، فرصدوا عناصر السياق المتمثلة في حال المتكلم والمخاطب، والحال المشاهدة وحالة الجو وجميع ما يتكون منه المقام، وتأثير هذه العناصر غير اللغوية في نظم الكلام بحسب المقام الذي يقال فيه، وأن هذا النظم يتنوع بتنوع المواقف[4] .

---

[1] _ ينظر: محمد حماسة عبد الطيف، النحو والدلالة، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1420هـ/2000م، ص98، وأسعد خلف العوادي، ص 146.

[2] _ ابن جني، ج1، ص33.

[3] _ ينظر: كمال بشر، علم اللغة الاجتماعي، دار الثقافة العربية ، (د ط)، 1994م، ص66.

[2] _ ينظر: عواطف كنوش المصطفى، الدلالة السياقية عند اللغويين، دار السياب للطباعة، لندن، ط1، 2007 م، ص103

ونخلص إلى نتيجة مفادها أن النحاة فهموا اللغة على أنها لفظ معين يؤديه متكلم معين في مقام محدد لأجل غرض تواصلي إبلاغي، وهي سمة النظام اللغوي ك ل، والمتكلم والمخاطب يمثلان ركيزة هذا النظام بحيث لا يمكن عزله عنهما، فلا يمكن للمخاطب فهم قصد المتكلم إن لم يُعمل فكره ويحلل الموقف الذي هو فيه[1].

وبذلك تصبح القواعد النحوية هي الأخرى جزء من السلوك الاجتماعي تتأثر بتأثر العوامل غير اللغوية، وهو ما أدى بالنحاة إلى التركيز على اللغة منطوقة أكثر من المكتوبة، فترتيب العناصر داخل التركيب وما يحدث له من تأخير وتقديم أو تعريف وتنكير أو ذكر وحذف وما تخذه المفردات من حالات إعرابية ، لا يعتد فيه بالسياق اللغوي فقط، بل لابد من مراعاة سياق الحال والعوامل الخارجية التي تحيط بالكلام، فعناصر السياق عند القدامى هي: المتكلم، الموضوع، المخاطب، والحال المشاهدة .

ويعيب ابن جنّي على العلماء القدامى من طبقة النحاة الأو ا _أثناء جمعهم المادة اللغوية_ قلة تدوينهم للمواقف التي تنجز فيها تلك المادة، لأن هذه المواقف تبين أغراض المتكلم والحال المشاهدة والموقف الذي يستدعي ألفاظا معينة دون غيرها ، بما لا يمكن وصفه كلاميا فقط، حتى لو كان مجرد قسم لعرف المخاطب بمجرد الإشارة دون العبارة ولطابق ذلك الحال الذي هو فيها[2] .

[1] _ ينظر: مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص 174، وعبد الرحمان حاج صالح، النحو العربي ومنطق أرسطو، مجلة اللسانيات، الجزائر، ص74.

[2] _ ينظر: ابن جني، ج1، ص 249 .

1_2_ السياق والبلاغة:

ذكر فيما سبق أن النحاة مهدوا الطريق للبلاغيين لدراسة ظاهرة السياق، معنى ذلك أن علماء البلاغة تناولوا السياق بطريقة مختلفة وبمنهج مختلف عن منهج النحاة ، ولمعرفة ذلك لابد من الوقوف عند بعض المصطلحات كالبلاغة، بلاغة المتكلم، بلاغة الكلام، لربما نتوصل إلى الضابط الذي يضبط هذه البلاغة ويحدد شروطها.

1_2_1_مفهوم البلاغة:

لا يمكن إطلاق صفة البلاغة على كل كلام يقال ذلك أن لها مر اتب كما أشار السكاكي رحمة الله حين قال: « طرفان أعلى وأسفل متباينان وبينهما مراتب فمن الأسفل تبتدئ البلاغة وهو القدر الذي إذا نقص منه شيء التحق ذلك الكلام بما شبهناه به في صدر الكتاب من أصوات الحيوانات، ثم تأخذ في التزايد متصاعدة إلى أن تبلغ حدا في

الإعجاز» [1]، يشير قول السكاكي رحمه الله إلى أن البلاغة مراتب وأسفلها هو القدرة على تأليف جملة بسيطة تعرف عناصرها تبعا لسليقة المتكلم والمتلقي اللغوية، حيث يذكر في موضع آخر هذه المرتبة من البلاغة فيقول: « هي تأدية دلالات وضعية وألفاظ كيفما كانت ونظم لها لمجرد التأليف بينها ...وهو الذي سميناه في علم النحو أصل المعنى »[2]، يشير السكاكي إلى أن الكلام وإن كانت تحكمه قواعد نحوية فهو لا يكتسب صفة البلاغة.

إذن هناك مرحلة أخرى من مراحل الارتقاء بالكلام حتى يحقق فائدة لدى المتلقي ، ويطابق المقام الذي سيرد فيه وهو ما يفسر قول سيبويه في باب الاستقامة من الكلام: « ومنه مستقيم حسن، ومحال، ومستقيم كذب، ومستقيم قبيح، وما هو محال كذب »[3].

وبعض الشروح التي تناولت كتاب السكاكي رحمه الله فسروا قوله حول "أصوات الحيوانات" وهي مرتبة دون مرتبة المعنى الأصلي (النَّحو) من مراتب البلاغة، إذ تذكر هذه الشروح أن المقصود بأصوات الحيوانات ؛ هي تلك الأصوات التي تصدر عن مخارجها [4]، فكلام السكاكي رحمه الله يشير إلى أن اكتساب الكلام للبلاغة إنما بتطابقه مع المقام الذي يرد فيه وتتحقق بواسطتهالفائدة لدى المتلقي.

غير أننا نجد البلاغيين في الآن نفسه قد وقفوا عند الكلام الذي يراعى فيه الجانب النحوي فقط فوجدوا أنه كلام بليغ، وذلك في إشارتهم إلى أن الناس طبقات ومن هذه الطبقات من يتسم بفهم بسيط للكلام فيراعي المتكلم حالة المتلقي وقدرته العقلية فلا يعلو بكلامه عما سيستوعبه هذا المخاطب، يقول الدسوقي رحمه الله: « وليس من ذلك أي من

---

[1] _ السكاكي يوسف بن أبي بكر، مفتاح العلوم، تح: نعيم زرور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1987م، ص 415، 416.

[2] _ المصدر نفسه، ص 163.

[3] _ سيبويه، ج1، ص 25.

[4] _ ينظر: التفتزاني سعد الدين، المختصر، دار السرور، بيروت، (د ط)، (د ت)، ج1، ص 140.

الكلام الملحق بأصوات الحيوانات ترك مراعاة اللطائف في مخاطبة البليد الذي لا يفهمها، بل ذلك الترك مما يجب على البليغ مراعاته لأن ترك اللطائف حينئذ من اللطائف[1]» .

وفي تعريف علم المعاني : « وهو تتبع خواص تراكيب الكلام في الإفادة [2] »، يشير السكاكي رحمه الله كذلك إلى أن المقصود بخاصية التراكيب ؛ « ما سبق منه إلى الفهم عند سماع ذلك التركيب، لا لنفس ذلك التركيب من حيث هو هو [3]»، ما يؤكد أن سمة البلاغة في الكلام إنما يحكمها تطابق مراد المتكلم مع الموقف الذي قيل فيه، لذلك أعود إلى تعريف البلاغة وهي: « مطابقة الكلام لمقتضى الحال[4]» .

فالمقصود بمقتضى الحال في البلاغة هو دلالة اللفظ على الغرض الذي صيغ له الكلام، فإذا طابق مراد المتكلم الغرض الذي لأجله ساق كلامه فهو كلام بليغ، إضافة إلى الصحة النحوية والإفادة اللتان أشرت إليهما سابقا، غير أن السؤال الذي يتبادر إلى الذهن كيف يتطابق الكلام مع الموقف الذي قيل فيه؟

1_2_2_أسس التحليل البلاغي للتركيب:

يختلف البلاغيون عن النحاة في تعاملهم مع الكلام منطوقا أو مكتوبا، ويتضح هذا الاختلاف في الغاية، فالنحاة يحللون التراكيب لغاية التركيب، أي لمعرفة معاني النحو من تعريف وتنكير أو تقديم والتأخير إلى غير ذلك من المعاني، أما البلاغيون وإن كانوا ينطلقون ممّا ينطلق منه النحاة إلا أن غايتهم معرفة مدى مطابقة التركيب للغرض الذي سيق لأجله من تعظيم أو تحقير، فرح أو حزن إلى غير ذلك من الأغراض، لذلك فقد اعتمد علماء البلاغة مجموعة من الأسس في معرفة دور السياق في كشف معاني التراكيب وهي:

أ_ الأساس النحوي:

---

[1] _ الدوسقي محمد بن محمد، الحاشية على شرح السعد لتلخيص المفتاح، دار السرور، بيروت، (د ط)، (د ت)، ج1، ص140.

[2] _ السكاكي، ص 160.

[3] _ المصدر نفسه، ص 161.

[4] _ التفتزاني، ج1، ص 134.

ابتدأ عبد القادر الجرجاني رحمه الله نظريته ببيان أهمية النحو، يقول: « فإذا ثبت الآن أن لا شك ولا مزية في أن ليس النظم شيئا غير توخي معاني النحو وأحكامه فيما بين معاني الكلم[1] »، يشير الجرجاني رحمه الله أن النظر إلى الجانب النحوي في صياغة الكلام هو أولى المراحل وتطبيق قواعده في استعمال اللغة ويذكر كذلك السكاكي رحمه الله هذه النقطة قائلا: « التعرض لخواص تراكيب الكلام موقوف على التعرض لتراكيبه ضرورة [2] ». ومما يدخل في الجانب النحوي كذلك نظم الألفاظ نظما صحيحا، فالكلمة لا يعتد بها مفرد ة، وإنما تظهر قيمتها إذا ضُمّت إلى كلمات أخرى، يقول الجرجاني رحمه الله: « لا نظم في الكلم ولا ترتيب حتى يعلق بعضها ببعض، ويبنى على بعض وتُجعل هذه سبب من تلك [3] » فمعاني النحو تحكم نظم التركيب كمرحلة أولى من مراحل كشف المعنى ذلك أن الوظائف النحوية من فاعلية ومفعولية، وتعد فرعا من فروع المعنى .

ب_الأساس العقلي:

يذكر الجرجاني رحمه الله أن: « ليس نظم الكلم أن توالت ألفاظه في النطق بل أن تناسقت دلالتها، وتلاقت معانيها على الوجه الذي اقتضاه العقل [4] »، فاختيار الألفاظ ضروري في حسن صياغة الكلام وربط عناصرهربطا منطقيا يبين السياق ويكشف المعنى، ومعرفة دلالة الألفاظ يعين على معرفة الموضع الذي يجب أن توضع فيه يقول: « ومما سيشهد لذلك، أنك ترى الكلمة تروقك وتؤنسك في موضع، ثم تراها تثقل عليك و توحشك في موضع آخر[5] »، وهو ما يفسر مقولتهم: « لكل مقال مقام » .

ج_ مقتضى الحال:

---

[1] _ الجرجاني عبد القاهر، دلائل الإعجاز، تح: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1413هـ/1992م، ص 458.

[2] _ السكاكي، ص 164.

[3] _ الجرجاني عبد القاهر، ص 97.

[4] _ الجرجاني عبد القاهر، ص 93.

[5] _ المصدر نفسه، ص 90.

يعرّف البلاغيون مقتضى الحال بأنه: « الأمر الداعي إلى أن يعتبر مع الكلام الذي يؤدى به أصل المراد خصوصية ما ، ومقتضى الحال هو تلك الخصوصية[1] »، فالحال هي السبب والدافع إلى التكلم، بل والمحددة لطريقة الكلام، وما يقوم به المتكلم هو استجابة لتلك الأحوال، غير أن الإشكال يقع في تحديد هذا الدافع (المقتضى) وهل هو طريقة الكلام أم الغرض من الكلام؟ وإذا كان المتكلم يعرف أن المخاطب ينكر شيئا أو يجهله، فإنه سيحاول تأكيده له، فالحال هو الإنكار والمقتضى هو التأكيد .

والإقرار بذلك« يلزم مطابقة الشيء لنفسه [2]»، والقول بمطابقة الكلام لمقتضى الحال وكان المقتضى هو الكلام المؤكد سيلزم ذلك القول بمطابقة الكلام للكلام، ولإزالة الالتباس من هذا الإشكال لجأ البلاغيون إلى قضية التعميم والتخصيص فالتأكيد حكم مطلق، أما الإنكار فهو أحد استعمالاته التي تعبر عنه، وهناك تساؤل آخر يطرح نفسه، حول المعنى الذي كشفه السياق هل هو؟

1_2_3_طبيعة المعنى المراد كشفه:

أ_الغرض والمعنى المقصود:

وقف البلاغيون مع مصطلح "المعنى" وقفة طويلة ، يقول القزويني: « البلاغة صفة راجعة إلى اللفظ باعتبار إفادته للمعنى [3] »، أي أنه يشير إلى المعنى المقصود من الكلام ، كما أشاروا إليه بلفظ "الغرض"، وما يفرق بينهما هو المفهوم اللغوي، فالمعنى كما أشرنا في مدخل البحث: هو القصد، أما الغرض فيمثل الأمر الباعث للإقدام الفاعل على فعل شيء ما، وهذا التفريق اللغوي بين "الغرض" و "المعنى" يقودنا إلى الإقرار بأن مصطلح المعنى أخص من الغرض، فالأول يرتبط باللفظ والثاني عام لا يرتبط باللغة كما أن المعنى لا يرتبط بالقصد وإنما بدلالة اللفظ ، في حين أن الغرض هو الدافع على استعمال هذا اللفظ وتقييده

---

[1] _ عبد المتعال الصعيدي، بغية الإيضاح في تلخيص المفتاح، المطبعة النموذجية، القاهرة، ط8، (د ت)، ج1، ص26.

[2] _ المغربي بن يعقوب، مواهب الفتاح ي شرح تلخيص المفتاح، دار السرور، بيروت، (د ط)، (د ت)، ج1، ص 124.

[3] _ حمادي صمود، مقالات في تحليل الخطاب، منشورات جامعة منوبة ، تونس، ط1، 1981م، ص 30.

بذلك المعنى[1]، وهو ما يؤكد وعي البلاغيين بالفرق بين المعنى و ارتباطه بدلالة اللفظ، وبين الغرض باعتباره قصد المتكل م ومراده، كما حاول البلاغيون تجنب اللبس بين الغرض والمعنى، بإطلاق مصطلح آخر على "الغرض" وهو مصطلح "المعنى الثاني" .

ب_ المعنى الثاني:

ظهر هذا المصطلح في كتب شُرَّاح كتب البلاغة، وفي ذلك يقول الدسوقي رحمه الله تعقيبا على تعريف القزويني للبلاغة: « لا من حيث إفادته المعنى الأول ... فلا يوصف اللفظ من أجل الدلالة عليه بالبلاغة، بل يوصف بها باعتبار إفادته المعنى الثاني [2]»، فالمراد بالمعنى الثاني ليس ما يفهم من دلالة اللفظ أو بلاغته ، وإنما هو الدافع من علاقته بالألفاظ الأخرى، فهو « الغرض الذي صيغ الكلام أي ذكر لأجل إفادته وهو الخصوصيات التي يقتضيها الحال وهذا تفسير المعنى الثاني [3] »، وبذلك يوحي المعنى الثاني في الكلام إلى مطابقته مقتضى الحال، كما أنه يمثل الغرض البلاغي من الكلام عامة .

ج_ المعنى الثاني ومعنى المعنى:

وقع التباس آخر لدى البلاغيين في ترادف المعنى الثاني الذي هو الغرض مع ما أشار إليه عبد القاهر الجرجاني ، من أن للتركيب معنى المعنى حيث يميز الجرجاني بين « المعاني الأولى المفهومة من أنفس الألفاظ ...والمعاني الثواني لتي يوُمَأُ إليها بتلك المعاني»[4] ويشرح أكثر موضحا أنه: « إذا كان ذلك كذلك علم علم الضرورة أن مصرف ذلك إلى دلالات المعاني على المعاني ، وأنهم أرادوا أن من شرط البلاغة أن يكون المعنى الأول الذي تجعله دليلا على المعنى الثاني ووسيطا بينك و بينه متمكنا في دلالته[5] »، حيث

---

[1] _ ينظر: المرجع نفسه، ص 33.

[2] _ الدوسقي، ج1، ص 134

[3] _ المصدر نفسه، ص ذاتها،

[4] _ الجرجاني عبد القاهر، ص 259.

[5] _ المصدر نفسه، ص ذاتها.

جاء حديث الجرجاني في هذا السياق عن تحليله لقضية اللفظ الذي يطلق والمراد به غير ظاهره وهو يدخل ضمن الكناية والمجاز، فكيف يتم تحديد مفهوم "المعنى الثاني"؟.

د_ المعنى الثاني والمعنى الأول:

في مختلف السياقات التي ورد فيها مصطلح "المعنى الثاني" ارتبط بمصطلح آخر وهو "الخصوصية الزائدة " ، ويشير المغربي رحمه الله إل ى مفاهيم مصطلح "الخصوصية الزائدة" بأنها أغراض زائدة عن المعنى المراد أولا، وهي تُوَلَّدُ من معنى أصلي ينصرف اللفظ عنه إلى معان أخرى، وهي كذلك معان مجازية [1]، وهذه المفاهيم لهذا المصطلح الذي يرتبط بالمعنى الثاني للكلام تقودنا إلى الإقرار بأنه مهما اختلف التعبير فإن المعنى الثاني لا يمكن فهمه إلا بوجود المعنى الأول قبله، ويفهم المعنى الثاني بنسبته إلى المعنى الأول[2].

هـ_ أصل المعنى والغرض:

أشرت فيما سبق إلى أن المراد بالمعنى الأصلي هو العلاقات النحوية بين عناصر التركيب بغض النظر عن مراد المتكلم وهو ما يسمى كذلك المعنى، أما إذا قصد المتكلم منه غرضا معينا، فيصبح هذا المعنى مقصودا ويسمى في هذه الحال غرضا ، ويعد معنى ثانيا بالنسبة لأصل المعنى، ولما وقع الخلط بين المعنى الأصلي والغرض من الكلام إذا طابق الأول الثاني، وأن الدلالة على الغرض ترتبط بدلالة الألفاظ لا المعاني فقد حرص البلاغيون على التمييز بين المعنى الناتج من كيفية نظم التركيب والمعنى ذاته كونه مقتضى الحال من خلال مصطلحي: المعنى الأول والمعنى الثاني، وهم يؤكدون أن علاقة الغرض بالألفاظ ليست علاقة مباشرة، و إنما يتوسط بينهما المعنى الأول (النحو)، وهي دلالة عقلية [3]، يقول الدسوقي: « اللفظ الدال على المقتضيات والخصوصيات وهي آثار للأغراض ، والآثار تدل على المؤثر دلالة عقلية، فالدال على المعنى الثاني هو اللفظ لكن يتوسط دلالة المعنى

---

[1] _ ينظر: المغربي، ج1، ص 135، والجرجاني عبد القاهر، ص 260.

[2] _ ينظر: الجرجاني عبد القاهر، ص 260.

[3] _ ينظر: حمادي صمود، ص 37.

الأول[1] »، ومثال ذلك قولنا: (إن زيدا في الدار)، فالمعنى الأول هو التأكيد، والمعنى الثاني التأكيد لكن بأشر دال على رد الإنكار (مقتضى الحال) فغرض المتكلم هو رد إنكار المخاطب .

ن_المعنى الأصلي والمعنى الفرعي:

المعنى الأصلي: هو أصل قصد المتكلم في وضع دلالة ذلك اللفظ لذلك الغرض من كلامه[2]، فالاستفهام في قول أحد الصحابة رضي الله عنهم: متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا؟، المعنى الناتج من استعمال دلالة هذه الألفاظ هو معنى مقصود من المتكلم غير أنه من جهة أخرى ليس مقصودا لذاته وإنما عبر به المتكلم واتخذه وسيلة لبلوغ معان فرعية حقيقية، وتولد المعاني الفرعية عن الأصلية يؤكد استلزام وجود الأصلية حتى توجد الفرعية، وهو ما يربط الأصل بالفرع وفق علاقات هي نفسها العلاقات التي تحكم المجاز [3]، وهو ما يوحي بأن المعنى الفرعي لا تدل عليه الألفاظ مباشرة وإنما يفهم المعنى الأصلي أولا من التركيب، غير أن المسافة بين المعنى الأصلي والمعنى الفرعي تطول وكلما طالت تعقدت أكثر من محاولة المتلقي فهم الغرض من الكلام، ذلك أنه يستدل على الغرض من دلالة الألفاظ، أما المعنى الفرعي فيستدل به من خلال المعنى الأول في التركيب [4].

و_ المعنى الحقيقي والمعنى المجازي:

المعنى الحقيقي : هو مدلول اللفظ إضافة إلى مراعاة مقتضى الحال [5]، فقوله: (هو كثير الرماد)؛ كان معناه الحقيقي إثبات كثرة الرماد للمتحدث عنه + قصد المتكلم لذلك الإثبات، غير أن المتكلم في حقيقة الأمر لا يريد إثبات كثرة الرماد ذاتها بل يقصد كرم هذا الشخص، فكان هذا المعنى المجازي سببا في المعنى الحقيقي (الكرم)، ولا يمكن التوصل

---

[1] _ المرجع نفسه، ص 38.

[2] _ ينظر: المرجع نفسه، ص ذاتها.

[3] _ ينظر: المرجع نفسه، ص ذاتها.

[4] _ ينظر: المرجع نفسه، ص ذاتها.

[5] _ ينظر: المرجع نفسه، ص 39.

إلى القصد الحقيقي للمتكلم إلا بجعل معاني الألفاظ وسيطا بينهما، وهذا أمر يدخل في تكوين القدرات العقلية للفرد.

انطلاقا ممّا تم بحثه في علاقة السياق بالبلاغة يمكن الخروج ببعض الملاحظات:

_ المعنى عند الجرجاني يتمثل في مستويين ؛ مستوى نفسي يكمن في وعي المتكلم بقواعد اللغة وأصولها، ومستوى لغويا هو استعمال هذه اللغة وفق تلك القواعد.

_ التحليل البلاغي للكلام أو التركيب يقتضي وجود التحليل النحوي له أولا .

_ العالم النحوي يسعى إلى البحث عن المعنى الأصل ؛ وهو كيفية نظم الكلام نظما سليما أما البلاغي فيتجاوز ذلك إلى معرفة مقتضى الكلام والغرض منه.

_ علوم البلاغة وإن انقسمت تلتقي في النظر إلى المعنى الثاني (الغرض) كونه أسهم في تماسك المادة البلاغية.

_ تنقسم علوم البلاغة وفق المسافة الفاصلة بين المعنى الأول والمعنى الثاني.

2_ السياق القرآني:

قامت العلوم العربية التراثية ومن أهم أهدافها إثبات الإعجاز القرآني، محاولة منها فهمه وتفسيره، فكان السياق أحد العوامل المساعدة في كشف معاني القرآن وترجيح تفسير على آخر، وأصبح قاعدة ثابتة من قواعد التفسير منضويا تحت ما يسمى تفسير القرآن بالقرآن وتعد من أصح طرق التفسير يقول ابن تيمية رحمه الله: « فإن قال قائل: « فما أحسن طرق التفسير؟ فالجواب هو إن أصح الطرق في ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن، فما أجمل في مكان

فإنه قد فسر في موضع آخر، وما اختصر من مكان فقد بسط في موضع آخر [1] »، ويشير كذلك تلميذه ابن القيم الجوزية إلى أن تفسير القرآن بالقرآن من أبلغ أنواع التفسير.

وما يدلنا على أن السياق قاعدة من قواعد التفسير ، ما روي عن عائشة رضي الله عنها أنها سألت النبي صلى الله عليه و سلم عن قوله تعالى: ﴿ **والذين يؤتون ما آتوا و قلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون** ﴾**(المؤمنون:60)**، « فقالت: هم الذين يشربون الخمر ويسرقون؟، فقال عليه الصلاة والسلام: لا بـرت الصدّيق، ولكنهم الذين يصلون ويصومون ويتصدقون وهم يخافون ألا يتقبل منهم ﴿ **أولئك يسارعون في الخيرات وه م لها سابقون** ﴾**(المؤمنون:61)** »[2]، فالرسول صلى الله عليه و سلم اهتدى إلى معنى الآية من خلال الاستعانة بسياق الآية اللاحقة .

وما رواه البخاري رحمه اله كذلك عند نزول قوله تعالى: ﴿ **الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون** ﴾**(الأنعام:82)**، « فعن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: لما نزلت هذه الآية شق ذلك على المسلمين، فقالوا: يا رسول الله أيُّنا لا يظلم نفسه؟! فقال: ليس كذلك، إنما هو الشرك، ألم تسمعوا ما قال لقمان لابنه وهو يعظه: ﴿ **يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم** ﴾**(لقمان:13)** »[3]، وقد عمل الصحابة رضي الله عنهم بقرينة السياق في تفسير القرآن الكريم كذلك .

2_1_مفهوم السياق القرآني:

لم يقدّم علماء التفسير مفهوما واضحا للسياق القرآني، وإنما أشاروا إلى أهميته و طريق التفسير بواسطته، ويمكن استخلاص مفهوم السياق من هذه الإشارات التي قدموها حيث يقول ابن دقيق العيد رحمه الله: « أما قرينة السياق فإنها الدالة على مراد المتكلم من كلامه

---

[1] _ ابن تيمية، مجموع الفتاوى، تر: عبد الرحمان بن محمد، مجمع الملك فهد، المدينة المنورة، (د ط)، 1425هـ/2004م، ص 93.

[2] _ الترمذي محمد أبو عيسى، صحيح سنن الترمذي، تح: محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث، بيروت، حديث رقم3175، (د ط)، (د ت). ص 120.

[3] _ البخاري محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، دار السلام، الرياض، حديث رقم: 3429، ط2، 1419هـ/1999م، ص 80.

وهي المرشدة إلى بيان المجملات وتعيين المحتملات [1] »، يقصد ابن دقيق من كلامه أن السياق يرجح إحدى التفسيرات التي يقدمها العلماء على أخرى لتوافقها مع معنى الآية.

ويذكر الزركشي رحمه الله قائلا: « ليكن محط نظر المفسر مراعاة نظم الكلام الذي سيق له وإن خالف أصل الوضع لثبوت التَّجَوُّزْ[2] » .

أما الباحثون في القرآن الكريم فإنهم يتعرضون لمفهوم السياق القرآني بصورة أوضح وأقرب إلى الفهم، ومن المفاهيم التي قدموها قول أحدهم: « أما السياق القرآني فإننا نقصد به الأغراض والمقاصد الأساسية التي تدور عليها جميع معاني القرآن إلى جانب النظم الإعجازي والأسلوب البياني الذي يشيع في جميع تعبيراته [3] »، في هذا التعريف يربط صاحبه السياق القرآني بالأغراض التي سيقت لأجلها مع مراعاة بلاغة الألفاظ وعلاقتها ببعضها.

ويعرفه آخر أنه: « كلمة السياق في تعبير المفسرين تطلق على الكلام الذي خرج مخرجا واحدا، واشتمل على غرض واحد، هو المقصود الأصلي للمتكلم، وانتظمت أجزاؤه في نسق واحد مع الملاحظة أن الغرض من الكلام أو المعاني المقصودة بالذات هي العنصر الأساسي في مفهوم السياق»[4].

ويعرفه صاحب نظرية السياق القرآني بأنه: « تتابع المعاني وانتظامها في سلك الألفاظ القرآنية، لتبلغ غايتها الموضوعية ، في بيان المعنى المقصود دون انقطاع أو انفصال»[5]، فالقرآن الكريم وحدة ك املة غير منفصلة فكيف لمعانيه أن تنفصل؟، وقد

---

[1] _ ابن دقيق العيد، إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، تح: أحمد شاكر، عالم الكتب، القاهرة، ط2، 1407هـ، ج2، ص 225.

[2] _ الزركشي أبو عبد الله، البرهان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، (د ط)، 1391هـ، ج1، ص 317.

[3] _ الحارثي عبد الوهاب، دلالة السياق منهج مأمون في تفسير القرآن، دار المكتبات، عمان، ط1، 1409هـ، ص 88.

[4] _ الطلحي ردة الله، دلالة السياق، معهد البحوث، مكة المكرمة، ط1، 1424هـ، ص 51.

[5] _ المثنى عبد الفتاح محمود، نظرية السياق القرآني، ص 15.

ارتضيت هذا التعريف للسياق القرآني ، لأنه يراعي فيه الجانب اللغوي على مستوى الآيات والجانب المقامي من الأغراض التي تصاحب الآيات .

2_2_ أنواع السياق القرآني :

جاء في كتاب دلالة السياق: « السياق قد يضاف إلى مجموعة من الآيات التي تدور حول غرض أساسي واحد، كما أنه قد يقتصر على آية واحدة ويضاف إليها ، وقد يكون له امتداد في السورة كلها، بعد أن يمتد إلى ما يسبقه و ما يلحقه، وقد يطلق على القرآن بأجمعه»[1]، يفهم من كلامه أن فهم السياق القرآني يرتكز على فهم أصغر مكوناته وصولا إلى أوسعها أي من الآية إلى القرآن كله.

فالسياق القرآني بذلك يتعدد بتعدد مكوناته:

_ سياق الآية .

_ سياق المقطع .

_ سياق السورة.

_ سياق القرآن الكريم .

2_2_1_ سياق الآية :

سبق الذكر في أحد عناصر هذا البحث أن الكلمة يختلف معناها المعجمي عن معناها السياقي، فمعناها السياقي هو وضع الكلمة في تركيب وربطها بما قبلها وما بعدها من الكلمات كذلك الحال بالنسبة لسياق الآية إذ يتحدد من خلال النظر في س باقها ولحاقها وبذلك فالآيات القرآنية نوعان : آيات مستقلة معنويا لا تحتاج إلى ما يتم معناها من الآيات الأخرى في السورة، أما النوع الثاني فهو تلك الآيات التي تحتوي معنى لكنه لا يكتمل ولا يتضح إلا بمشاركة الآيات المجاورة لها[2].

2_2_2_ سياق المقطع:

---

[1] _ الحارثي عبد الوهاب، ص 88.

[2] _ ينظر: المثنى عبد الفتاح محمود، ص 114.

يمثل المقطع في القرآن الكريم أحد تقسيمات السور القرآنية، وهو يتكون من مجموعة من الآيات، وفي أغلب الأحيان فإن المقطع يتناول موضوعا واحدا متحد المعاني محدد الأغراض التي سيق لأجلها، وفيه يتم كشف المناسبة بين الآيات، كما يساعد سياق المقطع على معرفة الوجه المرجح من أوجه التفسير[1].

2_2_3_ سياق السورة:

بحث العلماء في سياقيْ الآية والمقطع حتى يتوصلوا إل الغرض الرئيس الذي تدور حوله السورة، وكشف السياق الكلي لها، ولكل سورة في القرآن الكريم محور عام أو أكثر يمكن استخلاصه من سياقها، إذ تترابط سياقات الآيات والمقاطع في السورة الواحدة لتصب في سياق واحد يمثل موضوع السورة، ولسياق السورة جو خاص يطبع ألفاظها لينتج ألفاظا مساعدة على معرفة السياق الكلي لها[2].

2_2_4_ سياق القرآن الكريم:

تتضافر السياقات الجزئية للقرآن الكريم لتوضيح السياق الكلي له، وهو يتمثل في عدة عناصر مهمة منها الأغراض والمقاصد الأساسية للقرآن الكريم ومعانيه الكلية [3]، إضافة إلى النظم الإعجازي في آياته وسوره أسلوبه البياني الذي يتضح في جميع تعبيراته، فالقرآن الكريم أُنزل لمقاصد نبيلة تخدم مصالح العباد في دنياهم وأخراهم، ومفسر كلام الله عز وجل يجب عليه معرفة هذه الأغراض وإدراكها حتى لا يقع في خطأ فهم وتفسير كلام الله سبحانه وفي ذلك يقول الشاطبي رحمه الله: « فالتدبر إنما يكون لمن التفت إلى المقاصد، وذلك

[1] _ ينظر: المرجع نفسه، ص 116.

[2] _ ينظر: السامرائي فاضل صالح، التعبير القرآني، دار عمار، ط4، 1427هـ/2006م، ص 237.

[3] _ ينظر: باحويرث تهاني، أثر دلالة السياق القرآني، رسالة ماجستير، أم القرى، السعودية، ص 79، والمطيري عبد الرحمان، السياق القرآني وأثره في التفسير، رسالة ماجستير، أم القرى، السعودية، 2008م، ص 117.

ظاهر في أنهم أعرضوا عن مقاصد القرآن الكريم فلم يحصل منهم تدبر »[1]، فيعد الجهل بالمقاصد من أسباب البدع في الدين الإسلامي.

أما المعاني الكلية للقرآن الكريم فيقصد بها ما ورد في هـ من ألفاظ يطّرد أو يغلب استعمالها على معنى واحد، وهو ما يسمى في اصطلاح العلماء بكليات الألفاظ [2]، ويشير المثنى عبد الفتاح أن هذه هي أنواع السياق من حيث العموم والخصوص[3] .

2_3_ أركان السياق:

يقصد بأركان السياق العناصر التي تساعد على تحديد السياق الذي يرد في الآية أو المقطع أو السورة وهي:

2_3_1_السَّبَاقُ:

هو ركن مهم في تحديد السياق القرآني ويقصد به الكلام الذي يثبت معنى ما بعده ، وينكشف السياق في هذا الركن من خلال قرينة لفظية أو حالية لما يقدّم من كلامه عز وجل[4].

2_3_2_ اللَّحَأقُ:

هو الكلام الذي يبين معنى ما قبله، فيرجع السياق فيما ذكر من كلامه عز و جل لاحقا[5].

2_3_3_ ألفاظ القرآن الكريم:

حديثنا عن السبلق واللحاق من أركان السياق القرآني هو حديث عن دلالة الألفاظ القرآنية، فهي بذلك تعد ركنا أساسيا في استخلاص السياق، إذ تمثل مفتاح النص والسبيل

---

[1] _ الشاطبي أبو إسحاق إبراهيم، الموافقات، تح: مشهور بن حسن، دار بن عفان، السعودية، ط1، 1417هـ/1997م، ص 209.

[2] _ ينظر: مساعد المطيري، فصول في أصول التفسير، دار ابن الجوزي، الدمام، السعودية، ط3، 1420هـ/1999م، ص 120

[3] _ ينظر: المثنى عبد الفتاح، ص 124.

[4] _ ينظر: المرجع نفسه، ص 116.

[5] _ ينظر: المرجع نفسه، ص 122.

إلى كشف معانيه من خلال النظر في هيئتها لمعرفة صيغ تصريفها ومصادر اشتقاقها فالمعاني تختلف بزيادة حرف أو نقصه، والنظر كذلك إلى نظم هذه الألفاظ مع بعضها بعض لتشكل جملا[1]، ثم ربط مجموع الجمل مع بعضها بعض ا كذلك، يقول ابن تيمية : « ولابد في تفسير القرآن والحديث من أن يعرف ما يدل على مراد الله ورسوله من الألفاظ وكيف يفهم كلامه؟ فمعرفة العربية التي خوطبنا بها مما يعين على أن نفقه مراد الله ورسوله بكلامه، وكذلك معرفة دلالة الألفاظ على المعاني »[2]، وهذا النظم للعناصر من تقديم وتأخير أو ذكر وحذف يرجع إلى سياق الآية أو السورة.

هذه هي أركان السياق التي ذكرها علماء التفسير غير أن المتمعن لها يجد بأنها ترتبط بالسياق اللغوي للقرآن الكريم دون ذكر للمقام الذي تذكر في الآية أو السورة لذلك فإنه من الضروري تصنيف سبب النزول ضمن أركان السياق القرآني، فمعرفة سبب النزول يعنينا كثيرا في فهم الظواهر اللغوية الواقعة في السورة كما يساهم في تفسير السورة تفسيرا صحيحا لا مجال للزلل فيه .

2_4_ خصائص السياق القرآني:

يختلف السياق القرآني عن بقية السياقات الأخرى كونه يختص بكلام الله عز وجل، وأسلوب القرآن الكريم يختلف عن أساليب البشر وخطاباتهم، لذلك فإن السياق القرآني يمتاز بمجموعة من الخصائص التي تجعله متفردا وهي:

2_4_1_ ضبط الفهم لدى المتلقي:

إن القارئ لنص أدبي أو لغوي له حرية مطلقة في تأويل ذلك النص كما يشاء حسب خلفيته العلمية، لكن قارئ النص القرآني يجد أن النص هو من يفرض نفسه عليه، لأن

[1] _ ينظر: باحويرث تهاني، ص 73.

[2] _ ابن تيمية، ج7، ص 116.

السياق القرآني هو صاحب السلطة على هذا القارئ في كشف دلالات الألفاظ ومعانيها فيضبط فهمه من خلال تقييده، بمعاني الألفاظ، حتى لا يذهب بذهنه إلى معان غير قصدية من المتكلم وهو الله عز وجل

وتنحصر وظيفة المتلقي في تدبر وفهم معاني الآيات القرآنية، والاجتهاد في الوصول إلى مراد المتكلم وعلى هذا القارئ أن يلتزم المعاني الصحيحة فلا يحيد عنها أو يحاول معارضتها، لذلك نجد التفاسير القرآنية تتنوع لكنها لا تختلف، والألفاظ التي تحمل معان متعددة في سياق محدد يشترط أن توافق ما سيقت له من مقصد[1].

2_4_2_ التضام والالتحام:

تتسم آيات القرآن الكريم وسوره بالترابط والتشابك فلا انفصال بينها، وذلك لتتابع المعاني واتصالها بعناية من الله سبحانه، إذ جاء أولها متصلا بآخرها وفق سياق متواصل فجاءت معانيه وموضوعاته متناسقة[2]، وهو أحد صور الإعجاز القرآني.

2_4_3_احتماله للتنوع الدلالي:

يتمتع السياق القرآني بمرونة في تعدد أوجه الترجيح، وهي قابلية إعطاء أكبر قدر من المعاني، فنجد اللفظ الواحد يحمل أكثر من معنى دون اضطراب بين تلك المعاني، وهي ميزة للقرآن الكريم دون غيره من الكتب، وهو ما يجعل القارئ يجتهد بتفعيل عقله في فهم معاني القرآن الكريم دون خروج عن سلطة السياق القرآني[3].

فوظيفة السياق القرآني إذن هي بيان المعنى وتتّحد جميع وظائفه لأجل هذا الغرض، ويتضح دورهكذلك في كشف معاني الآية الواحدة، ثم في مجموع الآيات المتتابعة ، وليس هذا فحسب فالسياق كذلك يحدد المخاطب الذي يوجه إليه سبحانه كلامه، كما يحدد الموصوف ويبين صفاته، وكون الخطاب القرآني يحمل أوجها عدة في التفسير، فالسياق هو الذي يرجح أحد هذه الأوجه على الأخرى.

---

[1] _ ينظر: المثنى عبد الفتاح محمود، ص 126.

[2] _ ينظر: المرجع نفسه، ص 128.

[3] _ ينظر: المرجع نفسه، ص 130.

المبحث الثاني: السياق في الدراسات الغربية الحديثة

قامت عدة نظريات لسانية غربية حول دراسة اللغة، لارتباطها بالإنسان وكان لكل من هذه النظريات منهج خاص ورؤية لغوية في دراستها، فهناك من يفسرها بأنها عبارة عن إشارات ورموز لها كيان نفسي، وهناك من ينظر للغة نظرة سلوكية على أن عملية الكلام تحدث وفق تنبيه واستجابة، وهناك من ربط معاني التراكيب والكلمات بالمواقف السياقية التي تحدث فيها أو تنجز فيها، كما أن هناك من ربط العملية اللغوية بالمخاطب وما يقوم به من نشاط في محيط معين، وموضوع البحث هو السياق، فما يهمنا في هذه النظريات هي تلك التي ترتبط به وبكل عناصره.

1_نظرية السياق: (the theory of context)*

ظهرت هذه النظرية على يد العالم الانجليزي فيرث (firth) متأثرا بالعالم الأنثروبولوجي مالينوفسكي (Malinovski) الذي يعد أول من أشار إلى مصطلح سياق الموقف (context of situation)، فأخذ (فيرث) بمفهوم هذا المصطلح وطبقه على المجال اللغوي ووجد أن وظيفة اللغة لا تنحصر في كونها وسيلة لتوصيل الأفكار، والانفعالات بل نظر إليها نظرة اجتماعية باعتبارها جزء من السلوك البشري ، وقد تبع (فيرث) في هذا المنهج في دراسة اللغة مجموعة من اللسانين أمثال: هاليدي(haliday) وسنكلير (Sinclair) وميشال (Michel) وآخرون[1].

1 _1_ فكرة السياق في هذه النظرية:

تقوم هذه النظرية على فكرة النظر إلى المعنى باعتباره وظيفة في السياق، أي أن دور السياق ينحصر في كشف معاني التراكيب، فالكلمة لا يتضح معناها إلا باستعمالها في اللغة، وهذا الاستعمال يختلف من سياق لآخر وبذلك فإن معنى الكلمة يتغير بتغير السياقات الواردة فيها، هذا المعنى للكلمة يتحدد من خلال علاقة هذه الكلمة بغيرها من الكلمات في السلسلة الكلامية، فالمعنى بذلك هو مجموعة من العلاقات الموقفية لارتباط الكلام بالموقف الذي سيرد فيه، ولا يمكن أن ينفصل أحدهما عن الأخر، وهذا التحليل السياقي للغة يفرز سياقات متعددة للكلمة [2].

---

*_ ذكرت عدة توجهات لهذه النظرية وهي: المنهج التوزيعي، المنهج الاجتماعي، المدرسة الانجليزية، المنهج السياقي المنهج العملي.

1_ ينظر: أحمد مختار عمر، ص68.

2 _ ينظر: أحمد مختار عمر، ص68، ومحمد محمد يونس علي، المعنى وظلال المعنى (أنظمة الدلالة في العربية)، دار المدار الإسلامي، بيروت، ط2، 2007م، ص177، ومحمد محمد يونس علي، مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب، دار الكتاب الجديدة، بيروت، ط1، 2004م، ص27.

1_2_منهج الدراسة في نظرية السياق[1]:

يتبع أصحاب هذه النظرية منهجا علميا في دراسة المعنى ويتم وفق ثلاث مراحل:

أ_ وجوب اعتماد كل تحليل لغوي على ما يسمى المقام (الحال) أو الماجريات، بكل ما يضمه من عناصر لغوية تساهم في بيان معنى التركيب.

ب_ ضرورة تحديد بيئة الكلام المدروس وصيغته حتى لا يقع الخلط بين اللغات، أي تحديد اللغة المدروسة أو اللهجة إن أمكن ذلك، وذلك يستلزم تحديد البيئة الاجتماعية التي تحتضن اللغة المراد دراستها، فكل بيئة اجتماعية تحمل ثقافة تختلف عن ثقافة لغة أخرى وهو ما يفسر العلاقة الوطيدة بين اللغة والثقافة، فهي التي تحدد مستويات المتكلمين والمتخاطبين وطبيعتهم.

ج_ وجوب تحليل الكلام اللغوي وفق مراحل معينة، لأنه مكوّن من أحداث لغوية مركبة ومعقدة، ودراسة الكلام وفق هذه المراحل يسهل تحليله ويبتعد به عن الالتباس، ذلك أن كل مرحلة تقود إلى ما تليها، وتتمثل هذه المراحل في مستويات التحليل اللغوي، ونتاج ما تتوصل إليه هذه المستويات يمثل خصائص هذا الكلام المدروس.

د_ تحديد الوظيفة الكلامية من: تمنٍ، استفهام، توكيد...

هـ_ ملاحظة الأثر الذي يحدثه الكلام عند المخاطب من: إقناع، إنكار...

من خلال خطوات المتبعة في تحليل الكلام في هذه النظرية يمكن تقسيم السياق إلى:

1_3_ أنواع السياق:

1_3_1_ السياق اللغوي (الداخلي، المقالي):(LINGUISTIC CONTEXT)

تقوم فكرة المنهج السياق على أن معنى الكلمة لا يتضح إلا باستعمالها في سياقات مختلفة، وفي هذا النوع من السياق يتم وضع كلمة ذات دلالة محددة إلى جانب مجموعة من الكلمات، شرط أن يتوافقن مع هذه الكلمة دلاليا، فمثلا كلمة (منصهر) تتوافق دلاليا مع

[1]_ ينظر: خالد عبود حمودي، نظر في نظرية السياق، الجامعة المستنصرة، (د ط)، (د ت)، ص 4.

كلمة: (نحاس، حديد، ذهب)، ولا تتوافق مع كلمة (جلد)، لأن (الانصهار) من خصائص (النحاس، الحديد، الذهب)، أما كلمة (جلد) فترتبط مع كلمة (احترق) لأن دلالتهما متناسبين عقليا وواقعيا، وتسمى عملية اختيار الكلمات التي تتناسب دلاليا بالرصف أو المصاحبة * (collocation).

أ_ مفهوم الرصف (المصاحبة):

هو « الارتباط الاعتيادي لكلمة ما في لغة ما بكلمات أخرى معينة »[1]، أو هو: « استعمال وحدتين معجميتين منفصلتين، استعمالهما مرتبطتين الواحدة بالأخرى»[2]، والمقصود بالارتباط الاعتيادي بين الكلمات أن مجرد سماع نظم هذه الكلمة إلى جانب تلك لا يوقع التباسا في المعنى أو غرابة لدى المتلقي، فهو ارتباط منطقي تحكمه قواعد لغوية معنية.

بعد عملية الاختيار للكلمات ونظمها، تأتي مرحلة تصنيف هذه الكلمات التي نظمت ولما كان من شروط هذه النظرية نظم الكلمات في مجموعة من السياقات اللغوية، فستحدث عملية استبدال للعناصر اللغوية مع الحفاظ على المعنى ذاته، لذلك ظهر مصطلح الوقوع المشترك أو احتمالية الوقوع (cooccurrence)

ب _ مفهوم الوقوع المشترك: (cooccurrence)

هي عملية استبدال للمفردات اللغوية في التركيب وتتم على المستوى الخطي أو الأفقي المتتالي في السياق اللغوي لهذه التراكيب، غير أن استبدال هذه الألفاظ يتبعه تغير في سياق كل تركيب مما ينتج مجموعة سياقات مختلفة[3]، لكنها لا تبتعد عن بعضها البعض كثيرا من حيث المعنى، فكلمة (powerful) في اللغة الانجليزية والتي معناها قوي وكلمة (strong) ولها المعنى ذاته، تنتظمان مع كلمة (argument) (حجة) غير أنهما لا

*_ ترجم أحمد مختار عمر مصطلح (collocation) بالرصف، أما محمد علي يونس فترجمه بالمصاحبة.

1_ أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص74.

2 _ المرجع نفسه، ص ذاتها.

3_ ينظر: المرجع نفسه، ص75

يشتركان في السياقات اللغوية نفسها، إذن تنتظم كلمة (powerful) مع (car) وتنتظم كلمة (strong) مع (tea)[1].

ويرى جوس (joss) أن اختلاف السياقات اللغوية للعناصر يعود لاختلاف توزيع هذه العناصر (distribution) وفق سياقات متعددة، كما أنه أشار إلى أن العلاقات السياقية لا تنطبق في لغتين مختلفتين إلا إذا تمت الترجمة الحرفية لهما[2]، وذلك لا يتحقق وهو ما يثبته الواقع اللغوي، فترجمة نص معين من لغة إلى لغة أخرى ترجمة حرفية يغير المعنى تماما وبالتالي تتغير السياقات اللغوية معها، فمثلا لو تمت الترجمة الحرفية لجملة معينة من اللغة الفرنسية إلى اللغة العربية، فستبدو وكأنها تكسير للغة أو عبارة عن طلاسم لا معنى لها وإنما تتم ترجمة المعنى .

بعد اختيار الألفاظ التي تحمل دلالة معينة ورصفها إلى جانب بعضها ثم النظر في السياقات المختلفة تبعا لعملية الاستبدال، يأتي الاهتمام بالخصائص الصرفية والنحوية، فلفظ (cat، قط) مثلا يقع بعد (the الـ) التعريف[3]، وهنا يفرق (فيرث) بين نوعين من الرصف:

1_ الرصف العادي: وهو الذي يستعمله جميع الأفراد في أنواع مختلفة من الكلام.

2_ الرصف غير العادي: ويقع في بعض الأساليب الخاصة حيث يستعمله جماعة معينة من الأفراد المتمكنين من لغة معينة[4].

كما يختلف التحليل الرصفي عن التحليل النحوي، ذلك أن التحليل النحوي يدرس الكلمات التي تحمل دلالة في ذاتها أما التحليل الرصفي فيدرس علاقة هذه الكلمات فيما بينها مع كلمات أخرى[5].

---

1 _ ينظر: أحمد مختار عمر، ص 75.

2 _ ينظر: المرجع نفسه، ص 75، 76.

3_ ينظر: المرجع نفسه، ص 76.

4 _ ينظر: المرجع نفسه، ص 77

5 _ ينظر: المرجع نفسه، ص ذاتها.

لا يتضح معنى التركيب (meamingful) في المنهج السياقي وخاصة في هذا النوع من السياق إلا إذا صيغ هذا التركيب وفق قواعد النحو في لغة معينة ويشترط كذلك صحة الرصف والمصاحبة الواقعة بين ألفاظ هذا التركيب، فيلقى القبول من أبناء تلك اللغة وهو ما أطلق عليه اسم التقبلية (acceptabilité)[1]

ج_ من خلال مراحل الرصف في السياق اللغوي تتضح وظائف المعنى [(2)] وهي:

_الوظيفة الأصواتية (phonique fonction)

_ الوظيفة الصرفية (morphologie fonction)

_ الوظيفة المعجمية (lexical fonction)

_الوظيفة التركيبية (syntactique fonction)

_ الوظيفة الدلالية (sémantique fonction)

ويشير (فيرث) إلى أن هذه الوظائف تتحدد أثناء عملية الاستبدال، ولا يظهر معنى الكلمة في أي مستوى من هذه المستويات إلا من خلال السياق الذي ترد فيه، وإذا لم تكن هناك متقابلات لفظية لتلك الكلمة في ذلك السياق فلن يكون لها معنى[3].

يشمل السياق اللغوي جميع العناصر اللغوية والتي تكوّن عند اجتماعها الحدث اللغوي وهذه العناصر تتمثل في: الفونيمات (phonèmes) والمورفيمات (morphèmes) والتراكيب النحوية كما يشمل مجموعة العلاقات المعنوية التي تربط هذه العناصر ببعضها بعض[4].

---

[1] _ ينظر: المرجع نفسه، ص ذاتها.

2 _ ينظر: محمد يونس علي، مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب، ص 28، والمعنى وظلال المعنى، ص118.

[3] _ ينظر: مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب، ص 28، 29.

[4] _ ينظر: عبد الرحمان حسن العارف، اتجاهات الدراسة اللسانية المعاصرة في مصر، دار الكتاب الجديدة، بيروت، ط1، 2013م ، ص 287.

1_3_2_ السياق المقامي(الخارجي، الموقف، غير لغوي) (situation contexte)

يمثل هذا النوع من العنصر الاجتماعي في نظرية السياق، فمحاولة كشف معنى تركيب معين دون اعتبار للموقف الذي جرى فيه هذا التركيب، لا يعطينا سوى المعنى اللغوي فيه وهو ما يبقي هذا التركيب غامضا ملتبسا، لذلك لابد من ربط الكلام بالموقف الخارجي الذي ينجز فيه فكلمة (يرحم) مثلا، إذا وقعت في مقام تشميت العاطس نقول (يرحمك الله)، أما إذا وقعت في مقام الترحم على الميت فنقول (الله يرحمه)، حيث بُدئ بالفعل أولا في مقام التشميت وفي مقام الترحم بُدئ بالاسم، والأولى تعني طلب الرحمة في الدنيا ولثانية تعني طلب الرحمة في الآخرة، وما دل على الفرق بين المعنيين هو سياق الموقف الذي وضع فيه كل من التركيبين، فالسياق الحالي هو مجموعة العناصر غير اللغوية والتي تكون الموقف الكلامي[1].

أ_ عناصر سياق الموقف:

أ_1_ يدخل في عناصر الموقف السياقي شخصية المتكلم والمتلقي وتكوينهما الثقافي وانتماؤهما الاجتماعي أو المهني، وشخصيات من يحضر الموقف الكلامي من أشخاص غير المتكلم والمتلقي، وتحديد دور كل واحد منهم في العملية اللغوية .

أ_2_ الهدف من الخطاب الكلامي والغاية منه هل هو: السخرية، الألم، الانتقاد؟

أ_3_ العوامل الخارجية المحيطة بالعملية الكلامية كحالة الجو وزمن وقوع الكلام والمكان الذي وقع فيه، وجنس المتكلمين، واستجابة المتلقي[2].

---

[1] _ ينظر: أحمد مختار عمر، ص71، وخالد عبود حمودي، نظر في نظرية السياق، ص5، ومحمد يونس علي، مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب، ص31، والمعنى وظلال المعنى، ص120، وهادي نهر، علم اللغة الاجتماعي عند العرب، جامعة المستنصرة، ط1، 1408هـ/1988م، ص 187.

2 _ ينظر: هادي نهر، علم اللغة الاجتماعي، ص190.

1_3_3_ السياق العاطفي: (émotionnel contexte)

يمثل السياق العاطفي درجة الانفعال في الموقف الكلامي من قوة وضعف، حزن أو فرح وهو ما ما يقتضي التأكيد أو المبالغة أو الإنكار[1]، هذا النوع من السياق يرتبط بالحالة النفسية لأطراف العملية اللغوية من متكلم ومخاطب وغيرهما.

1_3_4_ السياق الثقافي: (culturale contexte)

يرتبط هذا السياق بثقافة المتكلم والمتلقي وانتماؤهما المهني والعلمي، فكلمة (جذر) يختلف المعنى الذي تؤديه باختلاف الموقف الثقافي المكوّن للعملية الخطابية، فهي عند المزارع تحمل معنى ما يختص بالنبات، أما بالنسبة للغوي فتمثل الأصل اللغوي للكلمة وعند عالم الرياضيات هي عبارة عن رمز جبري للأعداد[2].

ولا يمكن الفصل بين أنواع السياق في تحليل الكلام ويمكن اعتبار السياق الثقافي جزء من السياق الحالي لارتباطه بأحد عناصره.

ب_ إنجازات النظرية السياقية في المجال اللغوي:

لكل فكرة تظهر إلى الوجود خصائص تجعل منها متفردة، والنظرية السياقية بزعامة (فيرث) تعد تحولا كبيرا في مجال دراسة اللغة، إذ أنها لم تخرج عن دائرة اللغة في دراسة المعنى على عكس النظريات التي ظهرت قبلها، كما أن هذه النظرية درست الكلمات باعتبارها أفعالا داخلية ترتبط بالإنسان مما يجعلها قابلة للملاحظة والدراسة الموضوعية في المحيط الاجتماعي[3].

أشارت النظرية إلى عنصر مهم من عناصر كشف المعنى، حيث كان مهملا في النظريات اللسانية التي سبقت ظهور هذه النظرية، مما أدى إلى تسهيل عملية الوصول إلى المعنى الحقيقي للعملية التخاطبية من خلال الملاحظة والتحليل[4].

---

1 _ ينظر: أحمد مختار عمر، ص 70.

2 _ ينظر: المرجع نفسه، ص71.

3_ ينظر: المرجع نفسه، ص 63.

4_ ينظر: محمد محمد يونس علي، مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب، ص 32.

2_ نظرية التخاطب :

تعد نظرية التخاطب من النظريات التي اهتمت بالسياق في الدرس اللساني الحديث غير أنها تربط الخطاب بقائله ومفسره و تركز عليها، وتعد امتدادا لما يعرف بنظرية أفعال الكلام (speech act theory)، وبدأ بعد ذلك الاهتمام يتجه نحو الدراسات العملية للغة (emprical)، من خلال ما قام به (غرايس) من تحليل للمحادثات اللغوية في ما سماه أصول المحادثة (maximes conversation)، وبعد تبلور فكرة التفاعل الحاصل بين المعنى والاستعمال اتسع علم الدلالة ليظهر علم دلالة المقام (situation sémantique)[1] فقد اقترح (موريس) تقسيم علم اللغة إلى:

_ علم الدلالة

_ علم التركيب

_ علم التخاطب، حيث يرى بأن هذا الأخير يرتبط بدراسة « علاقة العلامات بمفسريها»[2]، ثم عمّمه بعد ذلك ليصير حقلا من « حقول البحوث التي تأخذ في اعتبارها نشاط الإنسان الذي يتكلم أو يسمع العلامة اللغوية وحالته ومحيطه »[3] .

2_1_ فكرة السياق في نظرية التخاطب:

تقوم نظرية التخاطب على أن المعرفة اللغوية وحدها غير كافية في فهم المقولات اللغوية، بل على المتلقي أن يقف على ملابسات هذه القولة والحالة التي قيلت فيها حتى يفهم مراد المتكلم، فعلم التخاطب يقوم على ارتباط المتكلم بما يتفوّه به من كلام وكيفية تحليل المتلقي لهذا الكلام، كما يقوم على ربط العملية الخطابية بالموقف الذي تقال فيه[4].

1 _ ينظر: محمد محمد يونس، مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب، ص 15، والمعنى وظلال المعنى، ص137.

2 _ ينظر: محمد محمد يونس، المعنى وظلال المعنى، ص 137.

3 _المرجع نفسه، ص ذاتها.

4 _ ينظر: المرجع نفسه، ص 138.

2_2_ مفهوم علم التخاطب:

يعرّف علم التخاطب بأنه: « دراسة كيف يكون للقولات معان في المقامات التخاطبية »[1]. فهو بذلك يدرس المعنى من حيث الاستعمال اللغوي للكلمات والألفاظ في مواقف معينة مع أشخاص معينين، كما عرّف بأنه: « دراسة استخدام اللغة وعلاقته ببنية اللغة والسياق الاجتماعي»[2]، فعلم التخاطب قائم على معرفة كيفية ارتباط النظام اللغوي بالأشخاص الذين يطبقونه في مواقف معينة.

2 _3 _عناصر التخاطب:

لا تكتمل عملية التخاطب إلا بوجود عناصر معينة تمثل أطراف هذه العملية إذ تتفاعل هذه العناصر فيما بينها وهي:

2_3_1_ المتكلم (المُخاطِب):

يدفع المتكلم عادة دافع معين يحفز قدرة الكلام لديه كان تتبادر إلى ذهنه فكرة معينة أو يسمع نقاشا حول مسالة ما، ما يولد لديه الرغبة في المشاركة في هذا النقاش مستعملا اللغة بما لها من علامات تمثل العرف اللغوي، هذه العلامات تشكل في ترابطها مجموعة من الوحدات المعجمية، وهذه الوحدات بدورها تربط فيما بينها مجموعة علاقات دلالية ينظمها المتكلم على مستوى ذهنه ويختار ما يحتاجه في عملية التخاطب مستعينا بقواعد النحو والصرف التي تحكم تلك اللغة، ثم يأتي دور الكفاية اللغوية لهذا المتكلم وهي قدرته على الكلام واستعمال تلك العلامات والوحدات وفق علاقات لغوية استعمالا سليما يحقق غايته وهي توصيل أفكاره ومشاعره إلى الأطراف الأخرى في العملية التخاطبية[3].

---

1 _ مقدمة في علمي التخاطب والدلالة، ص 13.

2 _ المعنى وظلال المعنى، ص 137.

3 _ ينظر: المرجع نفسه، ص 152.

2_3_2_ المُخَاطَب (المتلقي):

تبرز وظيفة المخاطب في عملية التخاطب أثناء تلقيه الكلام أو النص حيث يقوم بتحليله وتأويله بطريقته الخاصة انطلاقا من خلفيته الثقافية وتجاربه التي ينفرد بها من غيره، ويعد دور المتلقي في العملية الخطابية دورا إيجابيا إذ أنه عنصر مكمّل في حصولها فقد يقوم بإكمال نقص معين في جانب معين في الخطاب سواء من ناحية المعنى أو اللفظ[1].

2_3_3_ الخطاب:

بعد استعمال المتكلم لكفايته اللغوية ينتج نصا لغويا وفق قواعد معينة في لغة معينة وهو وسيلة لتوصيل غرضه إلى المتلقي، ومن سماته هذا النص أنه مترابط الأجزاء كأنه وحدة لغوية واحدة وأي تغيير في بنية الخطاب يؤدي إلى تغيير في المعنى من أصغر وحدة فيه وصولا إلى السياق الذي يرد فيه، ويرتبط الخطاب بالواقع الخارجي من حيث مطابقته أو عدم مطابقته، فالوحدات المُشَكِّلَة للخطاب تحمل في ذاتها دلالة عما يوجد في العالم الخارجي من أشياء كما يرتبط المتكلم والمتلقي بالخطاب، فالمتكلم هو من قام بتأليفه والمتلقي يقوم بالقراءة أو الاستماع.[2]

2_3_4_ المساق:

يستعمل كل من المتكلم والمتلقي اللغة في إطار زمني ومكاني معنيين، كما تحيط بالخطاب مجموعة من الملابسات والظروف التي تتكافل لتؤثر عليه، إذ يستخدم المتكلم بعض الإشارات والإيحاءات التي تساعده على توضيح فكرته حتى تبلغ فهم السامع، كما أن ثقافة المتخاطبين وانتماءهم الاجتماعي وعلاقاتهم الاجتماعية بين بعضهم[3]، هو ما يسمى المساق وهو« الحال التي يصدر فيها القول»[4].

---

1 _ ينظر: المعنى وظلال المعنى، ص155.

2 _ ينظر: المرجع نفسه، ص 157.

3 _ ينظر: المرجع نفسه، ص 160.

4 – المرجع نفسه، ص 161.

2_3_4_1_ عناصر المساق[1]:

1_ السياق الثقافي: يتمثل فيما يشترك فيه أفراد البيئة اللغوية من اعتقاد سياسي أو تاريخي أو ديني، كما يشمل العرف اللغوي.

2_ ملابسات الموقف:

هي الظروف والأحوال المحيطة بالموقف الذي جرى فيه الخطاب فجملة (صباح الخير) قد تعني معنى التحية إذا صيغت في سياقها الطبيعي، وقد يراد بها التهكم والسخرية إذا وجهت إلى مخاطب متأخر عن الوقت، وتتنوع هذه الملابسات لتشمل:

3_ وضعية المتخاطبين:

كطريقة الجلوس في الاجتماعات السياسية مثلا، إذا كان المتكلمون يجلسون حول طاولة مستطيلة وكان المتكلم يجلس عكس جلستهم تلك، وسألهم شيئا ما فإن ذلك الطلب يعد أمرا لابد من تنفيذه، أما إذا كانت الطاولة مستديرة والمتخاطبون جميعهم يجلسون حول تلك الطاولة فإن سؤال المتكلم مجرد التماس لأنهم يتساوون مكانة.

4_ قرائن الحال:

كأن يكون المتكلمون في حال تأهب أو ترقب لشيء ما أو في حالة خوف منه.

5_ المكان و الزمان: اللذان حدث فيهما الكلام .

6_ الأشياء والأحداث:

التي تمثل موضوع الخطاب وهو تحديد الشيء الذي نحن بصدد التخاطب فيه.

7_ العلاقة بين المتخاطبين:

إن معرفة نوعية العلاقة بين المتكلمين تحدد الغرض من الكلام، فإذا كانوا على اتفاق وطلب أحدهم من آخر شيئا فسيكون الطلب التماسا أما إذا كانوا على خلاف وشجار فإنه سيكون بمثابة الأمر.

---

1 _ ينظر: المعنى وظلال المعنى، ص 161، 165.

3_ مساعدات الكلام:

تشمل تعبيرات الوجه والإشارات اليدوية وإيماءات الرأس وما إلى ذلك ممّا يكمل الخطاب الكلامي والموقف الذي يجري فيه.

من المفاهيم التي لا يختلف حولها ذوو الفطرة السليمة، أن الأسلوب القرآني أسلوب فريد في سموه وإعجازه، فهو لا يشبه أي كلام أدهش العرب وأبهرهم ببلاغته وإعجازه وهم أصحاب البيان والفصاحة، ليصير منبع العلوم أنزل الله سبحانه فيه علم كل شيء ليستمد منه أصحاب كل علم علمهم، فاجتهد هؤلاء العلماء أيّما اجتهاد في دراسته ليضعوا للعربية علوما تصب معظمها في إثبات إعجازه القرآني، متوخين جل الطرق التي توصلهم إلى تفسير معانيه، ولعل أكبرها وأهمها هو **السياق**، سواء فيما يتعلق بالسور والآيات كَكُلٍّ لا يتجزأ يُفَسِّرُ سابقها لاحقها، أو بمعرفة سبب النزول ومناسبة ذلك، وهي قاعدة ثابتة منذ زمن الرسول صلى الله عليه وسلم، أما في العصر الحديث فيندرج تحت ما يسمى المنهج السياقي[1] .

يتسم القرآن الكريم بكثرة السرد القصصي، فمعظم السور القرآنية الكريمة منظومة في شكل قالب قصصي، وأكثرها سورة الكهف وهي من السور المكية، غير أن الزمخشري ذكر أن الآيات من قوله تعالى: ﴿ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّي وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّيٓ أَحَدًا ﴿٣٨﴾ ﴾ إلى قوله تعالى:﴿ ٱلَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَآءٍ عَن ذِكْرِي وَكَانُوا۟ لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴿١٠١﴾ ﴾ هي آيات مدنية، وتضم سورة الكهف مئة وعشر آيات، أما ترتيبها من حيث النزول فهو ثمانية وستون حيث نزلت بعد سورة الغاشية وقبل سورة الشورى [2]، ويروي الديلمي في مسند الفردوس عن أنس رضي الله عنه قال: « نزلت سورة الكهف جملة، معها سبعون ألفا من الملائكة» [3].

ويعود سبب نزولها كما جاء في معظم التفاسير القرآنية أن مُشْرِكِي مكة زاد خوفهم من دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم وزيادة عدد المسلمين بهذا الدين الجديد، فبعثوا إلى اليهود يسألونهم عن حقيقة دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم، وذلك ممّا يشاع عن اليهود في ذلك الزمن من معرفتهم صفات الأنبياء وعلامات النبوة، فأمرهم اليهود أن يسألوا الرسول صلى الله عليه وسلم عن ثلاثة أمور، فإن علم تفسيرها فهو نبي الله، وهذه الأمور هي: السؤال عن الفتية الذين ذهبوا ما أمرهم؟ وعن الرجل الذي طاف الأرض شرقا وغربا؟، وعن الروح ما هي؟، فلما سأله المشركون، أخبرهم أن يمهلوه يوما حتى يجيبهم عن ذلك منتظرا نزول

1_ ينظر: أحمد مختار عمر، ص 175.

2 _ ينظر: الزمخشري جار الله، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تح: أحمد عادل عبد الموجود وعلي محمد عوض، مكتبة العبيكان، السعودية، ط1، 1418هـ/1997م، ج3، ص 564.

3 _ بن عاشور محمد الطاهر، التحرير والتنوير، الدار التونسية، تونس، (د ط)، 1984م، ج 15، ص 242.

الوحي، الذي تأخر إلى ثلاثة أيام وقيل خمسة عشر يوما، وذلك لحكمة لا يعلمها إلا الله حتى أحزن الرسول صلى الله عليه وسلم ذلك، ثم نزل جبريل عليه السلام بسورة الكهف التي تحمل الإجابة عن أسئلة اليهود والمشركين، بل وعلى أكثر من أسئلتهم لتفسر أمورا كثيرة تذهب الشك من قلوب المسلمين لاحتوائها أربعة قصص قرآنية يجد المتدبر فيها إجابات أوسع وأشمل من الأمور التي سأل عنها المشركون [1].

أما عن سبب تسميتها بهذا الاسم، فقد سمّاها الرسول صلى الله عليه وسلم سورة الكهف لأن السياق العام للسورة يدور حول قصة أهل الكهف ، وهم الفتية الذين فرّوا من جبروت قومهم إيمانا منهم أن الله سبحانه سيهديهم سواء السبيل [2]، إلى جانب قصة أهل الكهف تضم السورة ثلاث قصص من روائع القصص القرآني هي: قصة صاحب الجنتين قصة موسى مع الخضر عليه السلام، قصة ذي القرنين، فالسورة يغلب عليها الطابع القصصي.

ولمّا كان البحث حول "دور السياق في بيان معاني التراكيب" فإنه سيتم التطرق في هذا الفصل إلى توجيه السياق لبعض الظواهر البيانية في سورة الكهف من حيث:

1_ البنية.

2_ التقديم والتأخير.

3_ الذكر والحذف.

4_ الفاصلة القرآنية.

1_ ينظر: بن عاشور محمد الطاهر، ص 242، 243 .

2 _ ينظر: المصدر نفسه، ص 241.

المبحث الأول: توجيه السياق لبنية سورة الكهف.

بما أن الدراسة في بيان توجيه السياق لمعاني سورة الكهف فإنني سأتناول السياقات الواردة في بنية السورة، واعتمادا على سبب نزولها كونها جوابا عن سؤال المشركين فقد وردت عدة تقسيمات لبنية السورة بحسب السياق.

1_ من منظور فخر الدين الرازي والطاهر بن عاشور وسيد قطب:

1_1_ من منظور فخر الدين الرازي[1].

سورة الكهف

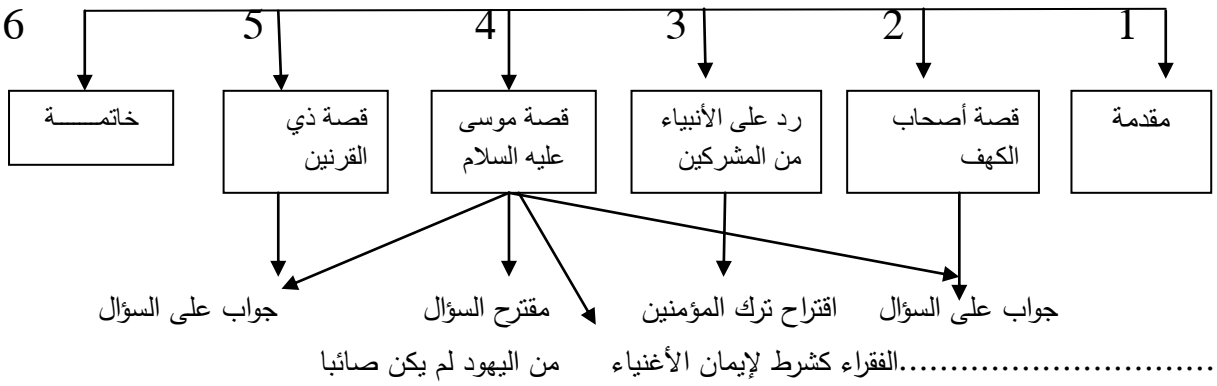

واستنادا لهذا التقسيم السياقي لبنية سورة الكهف عند فخر الدين الرازي فإن فواصل هذه الأجزاء هي:

3	2	1
﴿ واتل ← موئلا﴾	﴿ أم حسبت ◄ رشدا ﴾	﴿ الحمد لله جرزا﴾
6	5	4
﴿ وعرضنا أحدا ﴾	﴿ ويسألونك جمعا ﴾	﴿ وإذ قال موسى ← صبرا ﴾

1 _ ينظر: مفتاح بن عروس، في علاقة النص بالمقام (سورة الكهف نموذجا)، مجلة اللغة والأدب، جامعة الجزائر، ع14، 1420هـ/1999م، ص 301، 302 .

ويشير الرازي رحمه الله إلى أن الجزء الثالث من الرد على الأغنياء من المشركين إلى قصة موسى هي قصة واحدة، ثم يربط قصة موسى عليه السلام من خلال السياق بقصة ذي القرنين، ويشير كذلك الرازي رحمه الله إلى أن سؤال المشركين كان محض صدفة وهو ما بَيَّنَتْه السورة من أن سؤالهم كان خاطئا.

1_2_ من منظور الطاهر بن عاشور[1]:

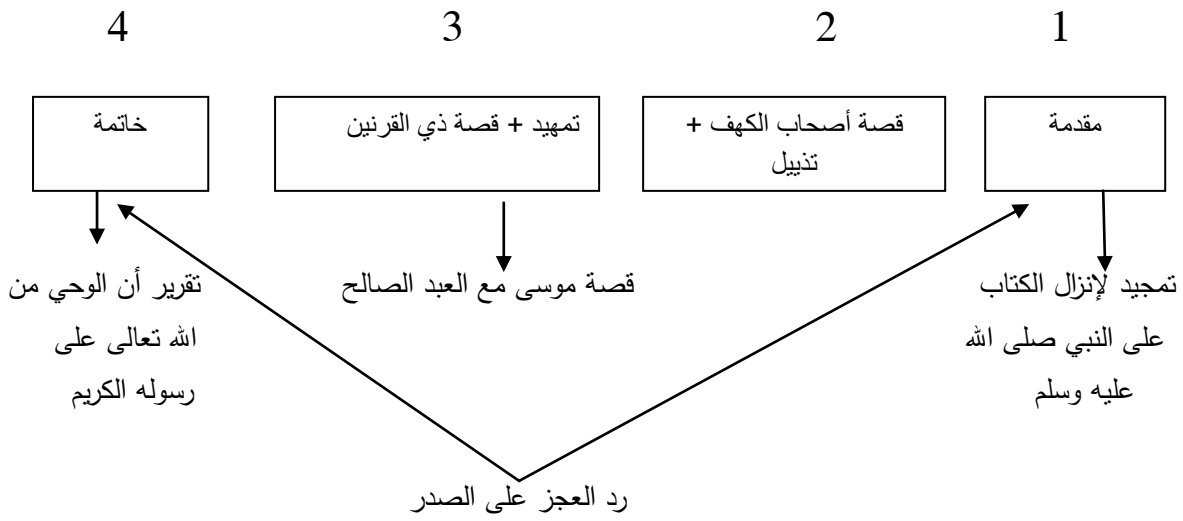

يقسم الطاهر بن عاشور رحمه الله في تفسيره بنية سورة الكهف بحسب السياقات الواردة فيها إلى أربعة بنيات كما هو موضح في المخطط .

1_3_ من منظور سيد قطب[2]:

يركز سيد قطب على نقطتين أساسيتين في تحديد سياقات بنية سورة الكهف وهما:

1_المحور الموضوعي للسورة يرتبط بالأمور العقدية كتصحيح العقيدة ومنهج الفكر .

2_غلبة عنصر القصص على السورة .

وبالنظر إلى النقطة الأولى فإن بنية سورة الكهف بحسب الموضوعات تقسم كالتالي:

1_ ينظر: مفتاح بن عروس، ص 303 .

2_ ينظر: المرجع نفسه، ص 302، 305 .

تقسيم السياقات حسب الموضوعات

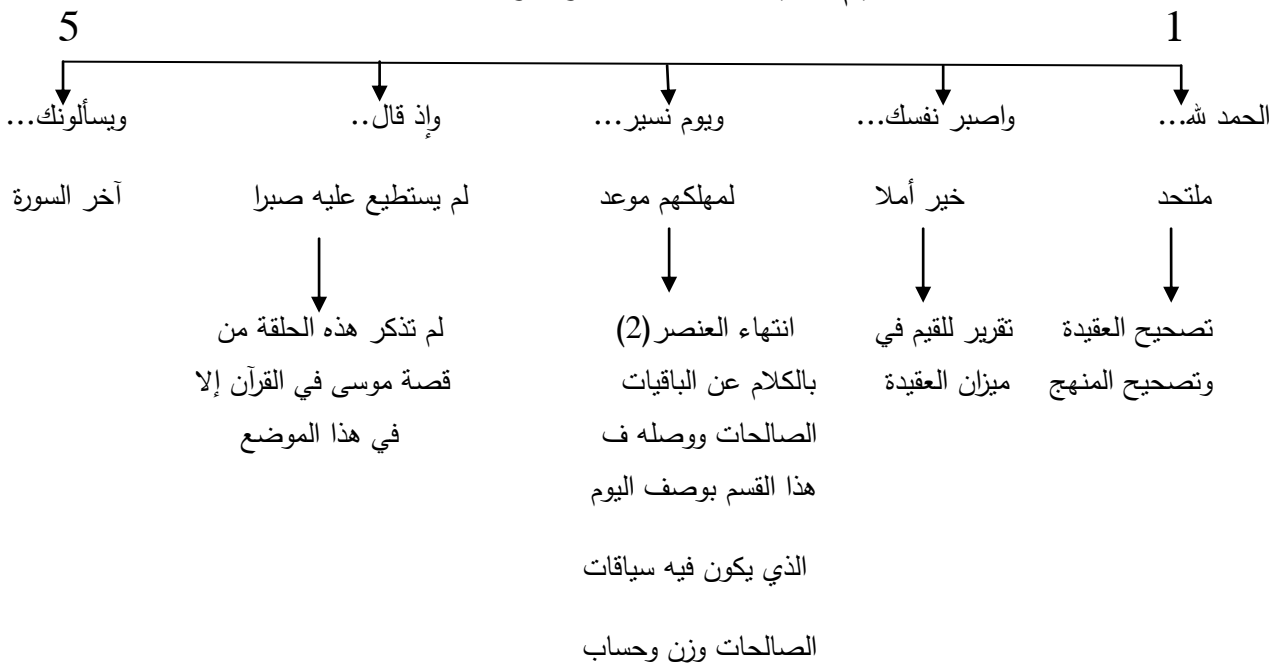

وبالاعتماد على النقطة الثانية فإننا نحصل على بنية أخرى:

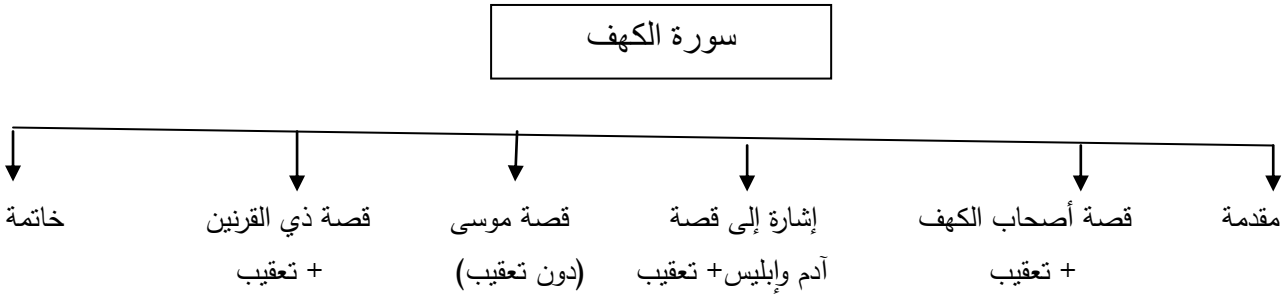

إن هذه التقسيمات السياقية لبنية سورة الكهف والتي أشار إليها كل من الرازي والطاهر بن عاشور وسيد قطب رحمهم الله في تفاسيرهم ، تعيدنا إلى سبب نزول السورة باعتبارها جوابا عن أسئلة اليهود كما سبق الذكر، فأول شيء سأل عنه الكفار هو قصة الفتية ثم عن الرجل الذي طاف الأرض شرقا وغربا وهو ذو القرنين، والسورة ورد فيها عدة قصص بين هاتين القصتين وهي: قصة صاحب الجنتين ثم بعض الإشارات إلى قصة إبليس وقصة موسى عليه السلام مع الرجل الصالح، فما سأل عنه المشركون هو أمرين صحيحين فقط ، أما السورة فجاءت في خمس قصص، ذلك أنهم حاولوا تعجيز الرسول صلى الله عليه وسلم ولكنه هو من أعجزهم في الأخير وأخرسهم .

2_ بنية سورة الكهف حسب السياقات الواقعة فيها.

تعد سورة الكهف جوابا عن الأسئلة التي طرحها الكفار وقد أشار إلى ذلك الكثير من المفسرين لذلك يمكن تحديد مجموعة من السياقات في بنيتها كالأتي[1]:

2_1_ السياق الأول:

قوله تعالى:﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾ ﴾، يربط الزمخشري رحمه الله سياق هذه الآية بسياق الآية السابقة من ذكر تزيين الأرض بما خلق فوقها من الأجناس التي لا يمكن حصر عددها، والقدرة على إزالة كل ذلك وكأنه لم يكن، ويشير إلى أن ذلك أعظم وأعجب من قصة أهل الكهف[2]، ويشير الرازي رحمه الله أن سياق الآية يدل على أن هنالك آيات أخرى أعجب من قصة أهل الكهف فيقول: « اعلم أن القوم تعجبوا من قصة أصحاب الكهف وسألوا عنها الرسول صلى الله عليه وسلم على سبيل الامتحان، فقال تعالى: أم حسبت أنهم كانوا عجبا من آياتنا فقط فلا تحسبن ذلك، فإن آياتنا كلها عجب» [3]، ويحدد الآلوسي رحمه الله مرجعية الضمير في قوله تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتَ ﴿٩﴾ ﴾ يعود إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، أي أن الخطاب موجه إلى الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، أما المقصود بالكلام فهم غيره من القوم [4]، ويشير الطاهر بن عاشور إلى ما ذهب إليه الزمخشري تقريبا بأن المراد من الآية هو أنه هناك من الآيات السماوية ما هو أعجب من قصة أهل الكهف[5].

2_2_ السياق الثاني:

قوله تعالى: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ ﴿١٣﴾ ﴾، نظر الطاهر بن عاشور رحمه الله إلى سياق هذه الآية نظرة لغوية مراعيا توزيع الأحداث ومحاولا إعادة تقدير الآية كالأتي: « نحن لا غيرنا نسرد عليك خبرا طويلا فيه أهمية وشأن » [6]، ويضيف الآلوسي رحمه الله أن التقيد

1_ ينظر: مفتاح بن عروس، ص 309 .

2_ ينظر: الزمخشري، الكشاف، ج 3، ص 243.

3_ الرازي محمد، التفسير الكبير، دار الفكر، بيروت، ط1، 1401هـ/1981 م، ج 11، ص 83 .

4_ ينظر: الالوسي محمد، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار الفكر، بيروت، ط 1983/1403م، ج15، ص 208، 209

5 _ ينظر: الطاهر بن عاشور، ج15، ص 259.

6 _المصدر نفسه، ص 271.

بالحق في الآية إشارة إلى أن هناك في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم من يقص نبأ أهل الكهف ملفقا بالأكاذيب[1].

2_3_ السياق الثالث:

قوله تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ ﴾، إن افتتاح الآية بالفعل (يسألونك) دليل على أن السورة جاءت لتجيب على تساؤلات عدة، كما أن الآية صيغت بتعبير استقبال لاسترجاع أحداث مضت، ويمكن توضيح ذلك بمخطط كالآتي:

(و يسألونك عن ذي القرنين)

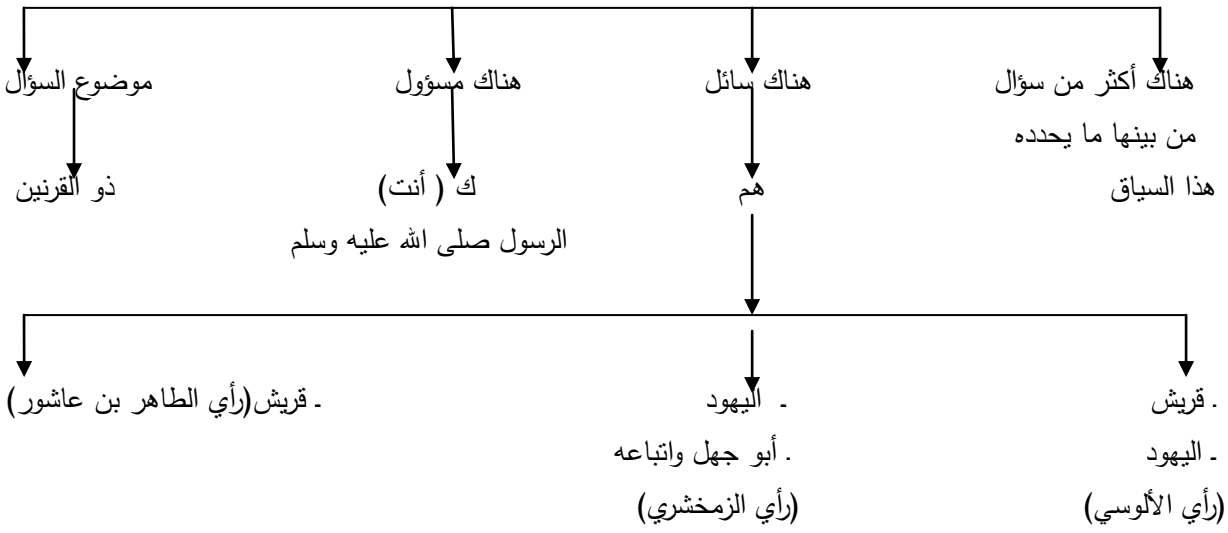

2_4_ السياق الرابع:

قوله تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ ﴾ يشير سياق الآية الآية أن المسؤول(الرسول صلى الله عليه وسلم) لا يملك إجابة عند سؤاله من طرف اليهود قبل نزول الوحي، أمّا السؤال فيتمثل في البحث عن تفاصيل قصة ذي القرنين والجواب ذكر في السورة وهو ما يستخلص من الآية.

3_ بنية سورة الكهف كخطاب:

إن المتمعن في بنية سورة الكهف يجد أنها تمثل خطابا موجها إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، والأفعال الواردة فيها تدل على ذلك فهي تشكل مجموعة بنيات صغرى توصل في مجموعها إلى بنية كبرى، تمثل جوابا وردا كافيا شافيا لسؤال الكفار والمشركين[2] :

1 ينظر: الآلوسي، ج 15 ، ص 16.

2 ينظر: مفتاح بن عروس، ص 314 ، 316.

البنية الأولى:

قوله تعالى: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾ ... إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾﴾، تشير الآيات إلى المتكلم ذاته وهو الله سبحانه وتعالى.

البنية الثانية :

قوله تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ ﴿٦﴾﴾ تأسف النبي صلى الله عليه وسلم من عدم إيمان قومه وهو الكلام موجه إلى مخاطب.

البنية الثالثة:

قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ ﴿٩﴾ ...﴾ قصة أصحاب الكهف مختصرة والمخاطب هو أي شخص يحسب أن أصحاب الكهف من أعجب آيات الله سبحانه .

البنية الرابعة:

قوله تعالى: ﴿ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم ﴿١٣﴾ ...﴾ ثم جيء إلى تفصيل قصة أهل الكهف لتبليغ الرسول صلى الله عليه وسلم.

البنية الخامسة :

قوله تعالى: ﴿ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم ﴿٢٢﴾ ...﴾ تبليغ الرسول صلى الله عليه وسلم أن الغيب لا يعلمه إلا الله سبحانه .

البنية السادسة:

قوله تعالى:﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ ...﴾ وهو كذلك ربط الغيب بعلم الله تعالى.

البنية السابعة :

قوله تعالى: ﴿ قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا۟ ۖ ﴿٢٦﴾ ...﴾ ، مسألة أهل الكهف في فترة نومهم وهي من علم الله سبحانه وحده .

البنية الثامنة:

قوله تعالى: ﴿ وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ ﴿٢٧﴾ ...﴾ أمر للرسول صلى الله عليه وسلم بتلاوة القرآن الكريم ولكل مؤمن برسالته.

البنية التاسعة:

قوله تعالى: ﴿ وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم ﴿٢٨﴾ ...﴾ وهو خطاب خاص بالنبي صلى الله عليه وسلم لابد أن يمثل له.

البنية العاشرة: قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ ﴿٢٨﴾ ... ﴾.

البنية الحادية عشر:

قوله تعالى: ﴿ وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡ ﴿٢٩﴾ ...﴾ هو تحديد بمصدر الحق وفي ذلك تبليغ للرسول صلى الله عليه وسلم أنه من الله سبحانه.

البنية الثانية وعشر:

قوله تعالى: ﴿ ۞وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلٗا رَّجُلَيۡنِ ﴿٣٢﴾ ...﴾ قصة صاحب الجنتين وهو تبليغ فيه من الحكم الكثير.

البنية الثالثة عشر:

قوله تعالى: ﴿ وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلَ ٱلۡحَيَوٰةِ ﴿٤٥﴾ ﴾ تبليغ أن الحياة ليست هي المستقر وإنما هي الطريق إلى الاستقرار.

البنية الرابعة عشر:

قوله تعالى: ﴿ وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ ﴿٥٠﴾ ...﴾ فيه سرد لقصة إبليس.

البنية الخامسة عشر:

قوله تعالى: ﴿ وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ ﴿٦٠﴾ ...﴾ قصة موسى مع العبد الصالح وفيها تبليغ للرسول صلى الله عليه وسلم أن العبد الذي سيُعلّم موسى عليه السلام هو رجل صالح ذو علم .

البنية السادسة عشر:

قوله تعالى: ﴿ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَن ذِي ٱلۡقَرۡنَيۡنِۖ قُلۡ سَأَتۡلُواْ عَلَيۡكُم مِّنۡهُ ذِكۡرٗا ﴿٨٣﴾ ...﴾ جواب عن سؤال الكفار وهي قصة ذي القرنين.

البنية السابعة عشر:

قوله تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ ﴾ تحديد مفهوم الأخسرين وهم الغافلون ع ما سيأتيهم .

البنية الثامنة عشر:

قوله تعالى: ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ ﴿١٠٥﴾ ... ﴾ عدم إحاطة الغافلين بقدرة الله سبحانه .

البنية التاسعة عشر:

قوله تعالى: ﴿ قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ ﴿١٠٩﴾ ... ﴾ ارتباط الرسول صلى الله عليه وسلم والبشرية برحمة الله تعالى عن طريق الوحي وهو القرآن الكريم.

هذه البنيات الصغرى في سورة الكهف تمثل في مجموعها بنيات كبرى تحددها القصص الواردة في السورة وهي :

البنية الثانية ⟵ البنية السابعة : يمثل السياق العام للسورة وهو قصة أهل الكهف .

البنية الثامنة ⟵ البنية الحادية عشر: هو خطاب موجه للرسول صلى الله عليه وسلم

البنية الثانية عشر ⟵ البنية الثالثة عشر: هو سياق قصة صاحب الجنتين.

البنية الرابعة عشر: قصة إبليس.

البنية الخامسة عشر: قصة موسى عليه السلام مع الرجل الصالح.

البنية السادسة عشر: قصة ذي القرنين.

البنية السابعة عشر⟵ البنية الثامنة عشر: تنبئ بالأخسرين أعمالا وجزاؤهم في الآخرة.

البنية التاسعة عشر: حقيقة الوحي الإلهي للرسول صلى الله عليه وسلم و جزاء المؤمنين به وهي ترتبط بسياق البنية الأولى.

هذا التقسيم لبنية سورة الكهف يقودنا إلى الإقرار بأن السورة كلها كل متكامل لا يتجزأ فقد افتتحت بمسألة الوحي ، وهي وظيفة الرسول صلى الله عليه وسلم وعليه تبليغه للناس كافة، واختتمت كذلك بمسألة الوحي في قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ ﴿١١٠﴾ ﴾، وعلى

اعتبار أن السورة جاءت كجواب لأسئلة الكفار والمشركين فإنها أ ثبتت أن الرسول صلى الله عليه وسلم هو المُبَلِّغُ بالوحي من الله سبحانه وأن عليه تبليغه للناس جميعا لأن فيه نجاتهم[1].

1 _ ينظر : مفتاح بن عروس، ص 317، 320 .

المبحث الثاني: دور السياق في تقديم وتأخير عناصر التركيب في سورة الكهف:

1_ مفهوم التقديم:

1_1_ لغة: هو مصدر مقيس للفعل الثلاثي المضعّف قَدَّمَ، وهو جعل الشيء سابقا وأولا[1].

1_2_ اصطلاحا: هو« باب كثير الفوائد جمّ المحاسن لا يزال يفتر لك عن بديعة ويفضي بك إلى لطيفة، ولا تزال ترى شعرا يروقك مسمعه، ويلطف لديك موقعه ثم تنظر فتجد سبب أن راقك ولطف عندك ، أن قُدِّمَ فيه شيء وحُوِّلَ اللفظ عن مكان إلى مكان» [2]، والتركيب القرآني معجز لأن اللغة فيه تتسم بالحرية، وليست مرتبطة بقواعد النحو العربي، فهو من عند الله سبحانه أما القواعد فهي من صنع الإنسان، والقرآن نزل بلسان عربي وليس بقواعد نحوية عربية، لذلك فإن التقديم والتأخير في القرآن الكريم يصنّف ضمن الرتبة غير المحفوظة من الرتب النحوية، لأن الرتبة غير المحفوظة هي رتبة في النظام اللغوي فقط أما في الاستعمال فيخرج إلى ترتيب آخر للعناصر اللغوية [3] بحسب السياق الذي يذكر فيه التركيب، وتكثر صور التقديم والتأخير في سورة الكهف ويفسر السياق أسبابه:

قوله تعال: ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ ٱلۡكِتَٰبَ وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ ١ قَيِّمٗا لِّيُنذِرَ بَأۡسٗا شَدِيدٗا مِّن لَّدُنۡهُ وَيُبَشِّرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٢ ﴾

تشير الآيتين إلى حالتين يوصف بهما كتاب الله عز وجل وهما (لم يجعل له عوجا) و (قيما)، حيث قدّمت الأولى على الثانية لما في ذلك من تأثير جمالي في نفس المتلقي وفي بناء السورة إلا أن معنى كل منهما يقترب من الأخرى فجاءت الأولى في أسلوب نفي والثانية في شكل إثبات، وذلك يرتبط بالحالة التي نزلت فيها السورة والقرآن جميعا إذ نزل في أمة فاسدة العقيدة والدين الجديد لا يمكن أن يقوم على الجاهلية بل لابد من إزالة المفاهيم الباطلة والتفكير الجاهلي وإعادة تصحيح ما هو فاسد في عقول الناس تمهيدا لكشف حقيقة الرسالة المحمدية وهو ما يتناسب مع السياق اللغوي في الآية فتقدم النفي على الإثبات لنفي العيب أولا ثم إثبات الكمال ثانيا[4].

1_ ينظر: ابن منظور، مادة (قدم)، ج 12، ص 465.

2_ الجرجاني عبد القاهر، ص 106.

3 _ ينظر: تمام حسان، البيان في روائع القرآن(دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني)، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1413هـ/ 1993م، ص 94، 227.

4_ ينظر: تمام حسان، البيان في روائع القرآن، ص104، والعثيمين محمد بن صالح، تفسير القرآن الكريم، دار ابن الجوزي، السعودية، ط1، 1423هـ، ص09

قوله تعالى:﴿ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ ٱلۡكِتَٰبَ ﴾، قُدِّمَتْ شبه الجملة (على عبده) على المفعول (الكتاب) لأن تقدير الآية: (أنزل الكتاب على عبده)، وفي ذلك تخصيص بنزول الوحي على الرسول صلى الله عليه وسلم ، فالمشركون والكفار من اليهود والنصارى كانوا في شك على مَنْ سينزل الكتاب ، لذلك تقدمت شبه الجملة على المفعول ، وهذا الترتيب للعناصر خص الرسول دون غيره من الناس ولقطع شك الكفار باليقين من الله سبحانه[1].

وقوله تعالى:﴿ نَّحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ نَبَأَهُم ﴾، إذ تقدّمت شبه الجملة (عليك) على المفعول (نبأهم)، والتقدير :(نقص نبأهم عليك)، فاليهود والنصارى وعلماء أهل الكتاب يظنون أنهم يعلمون الحق دون غيرهم، لذلك خصّ الله سبحانه الرسول صلى الله عليه وسلم بالعلم الحق دون سواه فتقدم ذكره (عليك)على غيره (هم)[2].

قوله تعالى:﴿ قُلِ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثُواْۖ لَهُۥ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ ﴾، تتيح قواعد اللغة العربية عدة اختيارات في ظاهرة التقديم والتأخير، فيجوز تقديم المبتدأ أو الخبر ولكل غاية في كشف المعنى وبيانه، وهناك غيبيات لا يعلمها إلا الله سبحانه ولا يدركها الإنسان بعلمه المحدود، لذلك تقدم لفظ الجلالة (الله) لاختصاصه تعالى بعلم الغيب[3].

قوله تعالى: ﴿ وَرَبُّكَ ٱلۡغَفُورُ ذُو ٱلرَّحۡمَةِۖ لَوۡ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُواْ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلۡعَذَابَۚ بَل لَّهُم مَّوۡعِدٞ لَّن يَجِدُواْ مِن دُونِهِۦ مَوۡئِلٗا ﴾، يظن الكفار والمشركون أن العذاب بعيد عنهم وأنه لن يمسهم ، فجاءت الآية حتى تُذهب ظنّهم الباطل ، لذلك ذكر العذاب مقدّما على الضمير(لهم)، و هو إشارة وتذكير لهم أنه قريب منهم وهم لا يشعرون ، ومن ناحية أخرى هناك إضراب عن تعجيل العذاب وتأجيله إلى موعد لكنه قريب[4].

1_ ينظر: الخضري محمد أمين، من أسرار حروف الجر في الذكر الحكيم، مكتبة وهبي، القاهرة، (د ط)، 1409هـ/ 1989م، ص94.

2_ ينظر: المرجع نفسه، ص95.

3_ ينظر: مراون محمد سعيد، دراسة أسلوبية في سورة الكهف،رسالة ماجستير، جامعة النجاح، نابلس، فلسطين، 2006م، ص97.

4_ ينظر: تمام حسان، البيان في روائع القرآن، ص 213.

قوله تعالى: ﴿ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّي ﴿٣٨﴾ ﴾ فالمشهور أن ضمير الفصل (هو) يتوسط بين اسم (لكن) وخبرها، والتقدير: (لكن ربي هو الله)، وفي ذلك تأكيد بأنه لا إله إلا الله وحده، أو أن التقدير هو: (لكنه الله ربي)، فيكون الضمير للشأن وانفصاله جاء للتوكيد[1].

قوله تعالى: ﴿ وَإِذِ ٱعۡتَزَلۡتُمُوهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأۡوُۥٓاْ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ يَنشُرۡ لَكُمۡ رَبُّكُم مِّن رَّحۡمَتِهِۦ وَيُهَيِّئۡ لَكُم مِّنۡ أَمۡرِكُم مِّرۡفَقٗا ﴿١٦﴾ ﴾، تقدمت رحمة الله بأهل الكهف على باقي النعم لأن الرحمة أساس هذه النعم وسبب دوامها وهو ما يفسر سياق الآية السابقة : ﴿ إِذۡ أَوَى ٱلۡفِتۡيَةُ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ فَقَالُواْ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةٗ وَهَيِّئۡ لَنَا مِنۡ أَمۡرِنَا رَشَدٗا ﴿١٠﴾ ﴾ فالفتية دعوا الله تعالى رحمة من عنده أولا ثم بباقي الدعوات[2].

قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَا فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٖۚ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ أَكۡثَرَ شَيۡءٖ جَدَلٗا ﴿٥٤﴾ ﴾، تقدم ذكر (القرآن) على (الناس) وهو ما يتناسب مع السياق الكلي للسورة ، فقد افتتحت بالحديث عن كتاب الله عز وجل الذي نزّله على الرسول صلى الله عليه وسلم، ثم جاء ذكر الناس في كل من قصة أهل الكهف وقصة موسى مع الخضر وقصة ذي القرنين[3].

قوله تعالى: ﴿ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَءَاتَيۡنَٰهُ ﴿٨٤﴾ ﴾، تقدّم ت صفة التمكّن على جملة (في الأرض) لأن التمكن مختص بذي القرنين وحده دون غيره، وقوله تعالى:﴿ فَهَلۡ نَجۡعَلُ لَكَ خَرۡجًا ﴿٩٤﴾ ﴾، فذو القرنين جعل الله له قدرة من كل شيء، و (الخرج) ليس في حاجة له فاكتفى بما أتاه الله، لذلك قدّم الضمير (لك) على (الخرج) لتناسب الترتيب مع السياق.

قوله تعالى:﴿ فَلَا نُقِيمُ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَزۡنٗا ﴿١٠٥﴾ ﴾، وقوله تعالى:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ ﴾، نلاحظ تقدم المختص في الآيتين ، ففي الأولى هم الكفار في الضمير (لهم) أما في الثانية فيقصد بهم المؤمنون من عباده، وذلك لِلَفْتِ الانتباه إلى طبيعة المتقدم[4].

---

1 _ ينظر: تمام حسان، البيان في روائع القرآن، ص ذاتها

2_ ينظر: مروان محمد سعيد ، ص 98.

3 _ ينظر: السامرائي، التعبير القرآني، ص 69، 70.

4_ ينظر: المرجع نفسه، ص 98.

قوله تعالى: ﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ ﴾، تقدم ذكر رحمة الله بالعبد على آثار هذه الرحمة لأن العبد في حاجة إلى رحمة الله عليه ثم تتجلى آثار هذه الرحمة من علم وإصلاح حال[1].

قوله تعالى: ﴿ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾ ﴾، من أسباب التقديم والتأخير مراعاة الإفراد والجمع وهو ما يتناسب مع الآية ، إذ قدّم (المال) وهو بصيغة مفرد على (البنون) وهو جمع، كما أن المال أشد فتنة من البنين لذلك قدم في الآية[2]، أما بحسب القواعد النحوية من تقديم العنصر الأهم على المهم وفي الآية تقدم (المال) على (البنين) وذلك يتنافى مع عقيدة المسلم غير أنه يتناسب مع عقيدة الكافر وهو ما يبينه سياق الآية اللاحقة، في حديث الله سبحانه وتعالى عن الكفار وجزاؤهم فهو يتناسب مع تفكيرهم المادي، كما تقدم في الآية (الثواب) على (الأمل) ذلك أن الشعور بالأمل له مسبب وهو التقديم بالخيرات والأعمال الصالحة، والثواب هو أساس الأمل في الجنة[3].

قوله تعالى: ﴿ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا ﴿٥٥﴾ ﴾، شغلت قضية اللفظ والمعنى الكثير من العلماء من حيث الترتيب، فيذكر المعنى متقدما على اللفظ أو يتقدم اللفظ وهو في المعنى مؤخ ر، فالاستغفار متعلق بالإيمان والمؤمن هو من يستغفر، وتربطهما علاقة معنوية لذلك تقدم الإيمان على الاستغفار[4].

قوله تعالى: ﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ﴿٢٩﴾ ﴾، إن ظاهر السياق من الآية هو التخيير، والمختار يعلم أنه إذا اختار غير الإيمان فهو ظالم و جزاؤه العذاب، وقد

1_ ينظر: مروان محمد سعيد ، ص98.

2 _ ينظر: منير محمود المسيري، دلالات التقديم والتأخير في القرآن، مكتبة وهبة، القاهرة، ط1، 1426هـ/2005م، ص 146، وأحمد أحمد بدوي، من بلاغة القرآن، دار نهضة، القاهرة، ط1، 2005 م، ص 93.

3_ ينظر: مروان محمد سعيد ، ص 99..

4 _ ينظر: الزركشي بدر الدين محمد، البرهان في علوم القرآن، ج3، ص 238.

قدم فعل (فليؤمن) من باب التأكيد على الاختيار الصائب والتشديد عليه، لأنه هو الأصل والهدف الحق الذي بعث من الله سبحانه و تعالى[1].

وقوله تعالى في الآية ذاتها: ﴿إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمۡ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسۡتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٖ كَٱلۡمُهۡلِ يَشۡوِي ٱلۡوُجُوهَۚ بِئۡسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتۡ مُرۡتَفَقٗا ٢٩﴾، تقدم ذكر ما أعد للكافرين على ثواب المؤمنين في الآية حتى يتناسب مع سؤال الكفار للرسول صلى الله عليه وسلم وليرتبط بما سبقه (فليكفر) على مستوى سياق الآية[2].

قوله تعالى: ﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ ٢٤﴾، إن جملة الشرط تأتي على الشكل التالي: (إذا نسيت فاذكر ربك)، غير أن المتوقع من المؤمن وهو الرسول صلى الله عليه و سلم أن يذكر الله سبحانه وهو أصل عقيدة المؤمن، أما النسيان فهو حالة طارئة لذلك تقدم الذكر وهو الأصل على الطارئ [3].

قوله تعالى: ﴿مَّآ أَشۡهَدتُّهُمۡ خَلۡقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَا خَلۡقَ أَنفُسِهِمۡ ٥١﴾، بالعودة إلى الترتيب الزمني للمخلوقات وأيها أسبق إلى الوجود، نلاحظ أن ترتيب العناصر في الآية تابع للسبق الزمني لهذه الأشياء التي خلقت لأن خلق السماوات والأرض سابق لخلق الإنسان ذلك أن الله سبحانه هيأ المكان والأسباب لمعيشة الإنسان ثم أَوْجَدَهُ فيه[4].

قوله تعالى:﴿كِلۡتَا ٱلۡجَنَّتَيۡنِ ءَاتَتۡ أُكُلَهَا وَلَمۡ تَظۡلِم مِّنۡهُ شَيۡـٔٗاۚ وَفَجَّرۡنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرٗا ٣٣﴾، ما هو متعارف عليه أن النبات يسقى فينمو ثم يثمر، غير أن (التفجير) وهو السقي أُخِّرَ وتقدم (الإيتاء) وهو الإثمار، و ذلك يوحي بأن كل منها مستقل وقد يحدث الإنتاج للثمار بدون السقي وحده وقد تكون هناك عوامل أخرى له[5] .

قوله تعالى: ﴿لَوِ ٱطَّلَعۡتَ عَلَيۡهِمۡ لَوَلَّيۡتَ مِنۡهُمۡ فِرَارٗا وَلَمُلِئۡتَ مِنۡهُمۡ رُعۡبٗا ١٨﴾، للتقديم والتأخير في القرآن دور في تصوير النفس البشرية، فالأصل في سلوك الإنسان أن الحالة النفسية

1_ ينظر: مروان محمد سعيد، ص 99.

2 _ ينظر: منير محمود المسيري، دلالات التقديم والتأخير، ص 474.

3 _ينظر: مروان محمد سعيد، ص 98.

4_ ينظر: المرجع نفسه، ص 99.

5 _ينظر: مروان محمد المسيري، ص 475.

تظهر في سلوكه إذا كان خائفا فيولي هاربا ، أي أنه يحصل شعور داخلي أولا ثم يظهر تأثير هذا الشعور في السلوك، فإنه إذا شعر بالرعب من شيء ما ابتعد عنه، لكن في الآية تقدم السلوك (الفرار)على الشعور (الرعب) حتى يحمي الله تعالى الفتية من قومهم، لأن رؤية الكهف تبعث على الرعب[1] .

قوله تعالى: ﴿ وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ ﴾، تقدم (من لدنا) على المفعول (علما) وذلك يفسره السياق اللغوي للآية، فقُدّم لشرف النسبة إلى الله سبحانه أما ما فسره المقام فهو أن العلم يختص بالله سبحانه وحده وهو وقف منه[2].

ومن جوانب النفس الكافرة قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِى مِلَّتِهِمْ ﴿٢٠﴾ ﴾، وهي طبيعة الكفار إذ يبادرون بتعذيب المؤمنين لأجل التعذيب فقط ثم يفكرون في إعادتهم عن دينهم، فجاء (الرجم) قبل الإعادة لأن الغرض من التعذيب ليس الدين والملة وإنما هي طبيعة النفوس الكافرة المريضة[3].

قوله تعالى:﴿ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ ﴾ تقدم القول(هل أتبعك) على الطلب (تعلمن) وفي ذلك تواضع من موسى عليه السلام و تعظيم لشأن الرجل الصالح و ما أوتي من علم و هي سمة الأنبياء و العلماء[4].

وتظهر دهشة الكافرين من حساب الله سبحانه لهم في قوله: ﴿ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ ﴾، فالكافر يظن أنه لن يلاقي الله سبحانه يوما وأنه لن يُحاسب عما قام به من معاصي ، وإذا به فجأة يجد أمامه كل ما عمله من صغير الأعمال وكبائرها، لذلك تقدم ذكر السيئات الصغيرة على الكبيرة حتى تتضح دقة حساب الله سبحانه ويندهش الكافر من أنه تم إحصاء أعماله الصغيرة قبل الكبيرة[5] .

1_ ينظر: مروان محمد سعيد ،ص 100.

2_ ينظر: منير محمود المسيري ، دلالات التقديم و التأخير في القرآن ، ص 475.

3_ ينظر: مروان محمد سعيد ، ص 100.

4_ ينظر: منير محمود المسيري ، ص 476.

5 _ ينظر: مروان محمد سعيد، ص100.

قوله تعالى: ﴿ وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأۡخُذُ كُلَّ سَفِينَةٖ غَصۡبًا ﴿٧٩﴾ ﴾، تقدم ذكر الفعل الذي قام به العبد الصالح على سبب قيامه به، وذلك ما يتناسب مع طبيعة الإنسان إذ أنه يقر بالفعل أولا تشويقا للمتلقي لمعرفة سبب ذلك[1] .

قوله تعالى:﴿ ٱلَّذِينَ كَانَتۡ أَعۡيُنُهُمۡ فِي غِطَآءٍ عَن ذِكۡرِي وَكَانُواْ لَا يَسۡتَطِيعُونَ سَمۡعًا ﴿١٠١﴾ ﴾، تقدم ترتيب الحواس في الآية مراعاة لطبيعة الكفار فهم لا يستمعون للحديث ولا يؤمنون به حتى يروا العذاب حاضرا أمامهم وحينئذ لا يفيدهم إيمانهم في شيء[2].

قوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا ٱلۡغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤۡمِنَيۡنِ فَخَشِينَآ أَن يُرۡهِقَهُمَا طُغۡيَٰنٗا وَكُفۡرٗا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدۡنَآ أَن يُبۡدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيۡرٗا مِّنۡهُ زَكَوٰةٗ وَأَقۡرَبَ رُحۡمٗا ﴿٨١﴾ وَأَمَّا ٱلۡجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيۡنِ يَتِيمَيۡنِ فِي ٱلۡمَدِينَةِ وَكَانَ تَحۡتَهُۥ كَنزٞ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحٗا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبۡلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسۡتَخۡرِجَا كَنزَهُمَا رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۚ وَمَا فَعَلۡتُهُۥ عَنۡ أَمۡرِيۡۚ ذَٰلِكَ تَأۡوِيلُ مَا لَمۡ تَسَطِع عَّلَيۡهِ صَبۡرٗا ﴿٨٢﴾ ﴾، جاء الترتيب في هذه الآية متناسبا زمنيا مع ترتيب الأحداث التي جرت مع موسى عليه السلام و العبد الصالح، فبدأ قصته بالسفينة ثم الغلام ثم الجدار[3].

1 _ ينظر: منير محمود المسيري، 476.

2 _ ينظر: مروان محمد سعيد، ص101.

3 _ ينظر: منير محمود المسيري، ص 476، 477.

المبحث الثالث: قرينة السياق والذكر والحذف.

1_ مفهوم الحذف:

1_1_لغة: هو مصدر جار على القياس للفعل حذف الذي مضارعه يحذف والمراد به الإسقاط [1]، وهو ما أشارت إليه معظم المعاجم العربية.

1_2_اصطلاحا: هو إسقاط جزء من الكلام أو كله بوجود دليل على ذلك [2]، فهو بذلك إسقاط لبعض الصيغ داخل التركيب مع افتراض وجودها نحويا حفاظا على سلامته [3]، ويتعلق الحذف إذن بأداة أو بكلمة أو بجملة، وقد تم تقديم مفهوم " الحذف " في اللغة والاصطلاح دون " الذكر"، ذلك أن الأصل في اللغة العربية هو الذكر؛ أي ذكر جميع عناصر التركيب أما الحذف فهو أحد الأساليب النحوية البلاغية التي تحقق غاية معينة، منها: تجنب الإطناب أو تجنب التصريح بالعنصر المحذوف بوجود قرائن دالة عليه [4]، وهو ما يستدعي من المتلقي معرفة شاملة لمواضع الحذف من خلال البحث عن القرائن الدالة على الكلام المحذوف، معنى ذلك أن المحذوف لا يقدر لأن التقدير يفسد بلاغة الكلام، وإنما يحاول معرفة الدلائل على ما حذف من عناصر وهو ما ينشط ذهن المتلقي [5]، ويولد لديه الرغبة سواء في القراءة أو الاستماع .

وقارئ القرآن الكريم يجب أن يتدبر معانيه ويعرف السياقات الواردة فيها، وظاهرة الذكر والحذف تكثر في كتاب الله عز وجل عموما وسورة الكهف خصوصا، ولما كان الحذف والذكر يتعلق بحذف حرف أو أداة أو بحذف كلمة أو جملة، فسيُتَّبَعُ هذا الترتيب في الدراسة قوله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلشَّمۡسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهۡفِهِمۡ ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقۡرِضُهُمۡ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمۡ فِي فَجۡوَةٖ مِّنۡهُۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِۗ مَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِۖ وَمَن يُضۡلِلۡ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيّٗا مُّرۡشِدٗا ١٧﴾، تكرر حذف الحروف في هذه الآية في كلمة (تزاور) والأصل فيها (تتزاور) حيث سبقتها تاء (طلعت) فتتابعت

1 _ ينظر: الجوهري، مادة (حذف)، ج4، ص 1341 .

2_ ينظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج 3، ص 115

3_ ينظر: علي أبو المكارم، الحذف والتقدير في النحو العربي، دار غريب، القاهرة، ط1، 2007م .

4 _ ينظر: تمام حسان، اجتهادات لغوية، ص 205.

5_ ينظر: محمد أبو موسى ، خصائص التركيب (دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني)، مكتبة وهبة، القاهرة، ط2، 1978م، ص 111.

الأمثال، واللغة تنفر من ذلك لثقله على الرطق فحذفت إحدى التاءين للتخفيف، أما لفظ (المهتد) فحذفت منه الياء والأصل (المهتدي) وهو ما يتناسب مع كون طريق الهداية قصير فجيء باللفظ محذوفا منه الياء على عكس الفعل (يضلل) جاء مفكك الإدغام لأن طرق الضلال متشعبة[1]، وهو كثير في سورة الكهف كقوله تعالى: ﴿وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ﴿٢٤﴾﴾، وقوله: ﴿إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾﴾، وقوله: ﴿فَعَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ ﴿٤٠﴾﴾، حذفت ياء المتكلم في كل من (يهدين) و(ترن) و(يؤتين) وفي حديث موسى عليه السلام مع العبد الصالح قوله تعالى: ﴿تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾﴾، حذفت من(تعلمن) وقوله كذلك: ﴿ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ﴿٦٤﴾﴾، ففي هذه الآيات تقع في كل قصة من القصص التي سردت في سورة الكهف سردا موجزا غير مفصل وهو ما يتناسب مع الألفاظ التي حذفت منها ياء المتكلم، غير أن الملاحظ لهذه الياء يجد أنها إذا ذكرت مسندة إلى لفظ الجلالة (ربي) يذكر اللفظ تاما، وهو ما يفسر أن نفس المتكلم نفس مؤمنة متواضعة لله عز و جل[2].

والتخفيف في اللغة العربية واسع تنبه له العلماء، قال تعالى: ﴿لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٣٨﴾﴾، فالأصل في الجملة: (لكن إن الله ربي)، فحذفت الهمزة في (أنا) تخفيفا، ولكثرة استعمال ذلك فأدغمت إحدى النونين في الأخرى[3]، ومراعاة الجانب النفسي لدى المتكلم إذ أغلب حديثه عن نفسه فيميل للحذف تواضعا.

وقوله تعالى: ﴿وَعُرِضُوا۟ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ ۚ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُمْ مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾﴾، الأصل في الجملة: (أَنْ لَنْ نَجْعَلَ لَكُمْ) ونلاحظ تتابع الأمثال من الحركات لذلك أدغمت تخفيفا[4].

1_ ينظر: مروان محمد سعيد، ص 105.

2_ ينظر: السامرائي، ص 86، ومروان محمد سعيد، ص 105.

3_ مكي ابن أبي طالب، العمدة في غريب القرآن، تح: يوسف المرعشلي، مؤسسة الرسالة، (د ط)، 1401هـ/1981 م، ج 1، ص 133.

4_ ينظر: مروان محمد سعيد، ص 106.

قوله تعالى: ﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ ۖ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ۬ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾ ﴾، حذفت الواو في: (ويقولون خمسة سادسهم كلبهم)، وفي: (ثلاثة رابعهم كلبهم) ، وذكرت في قوله: (ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم)، حيث وردت عدة أراء حول الواو التي ذكرت مع العدد ثمانية وحذفت مع المقولتين الأولى والثانية، فهناك من ذكر أنها واو الاستئناف، وهناك من قال بأنها واو الثمانية لأنها ذكرت في القرآن مع العدد ثمانية فقط [1]، وقيل هي ذكرت مع الثمانية للدلالة على صدق المقولة الأخيرة، أي أنهم كان العدد سبعة وثامنهم كلبهم [2]، أمّا الزمخشري فيرى أن الواو تدخل على الجملة الواقعة صفة للنكرة حتى تؤكد التصاق الصفة بالموصوف وثباتها معه، كما أشار إلى أن قولهم ذلك عن ثبات وعلم وليس رجما بالغيب كما ذكر من قبل دليل ذلك ما ذكر فيما بعد ﴿ما يعلمهم إلا قليل﴾[3] .

ومن باب الحذف والذكر في سورة الكهف، قوله تعالى: ﴿ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾ ﴾، وقوله تعالى: ﴿ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾ ﴾، شغلت هاتين الآيتين الكثير من العلماء وأحدثت جدلا بينهم، وبملاحظة السياق الذي ورد فيه كل من الفعلين (تستطيع) و(تسطع)، نجد أن في الفعل الأول كان موسى عليه السلام يجهل أسباب قيام العبد الصالح بكل ما قام به، فجاء الفعل مذكور ا جميع حروفه ، وهو ما يتناسب مع حالته النفسية، أمّا في الفعل الثاني(تسطع) حذفت منه التاء لأن موسى عليه السلام قد علم تأويل ما حدث معه من ظواهر فلم يحتج إلى ذكر جميع حروفه [4]، يقول عودة الله القيسي« إن موسى عليه السلام كان قبل أن يفسر له العبد الصالح أسباب ما قام به من أحداث غير قادر على الصبر، فكان نطق الكلمة الدالة على ذلك بكامل حروفها لتعبر تعبيرا واضحا عن حالته النفسية، وتكون صيغتها موازية لحالة عدم القدرة على الصبر، فلم يعد بحاجة إلى ما يدعو تأكيد المعنى الأول باللفظ بعد أن زال أثر المفاجأة عن موسى عليه السلام، فكان أقل

1_ ينظر: الخطيب الاسكافي، درة التنزيل، ص 280، 281 .

2_ ينظر: البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، مؤسسة شعبان، بيروت، (د ط)، (د ت)، ج3، ص 220.

3 _ ينظر: الزمخشري، الكشاف، ج3، ص 577 .

4_ ينظر: مروان محمد سعيد، ص 106.

لفظ كافيا للتعبير عن الحال» [1]، وفي الفعل الأول (تستطع) فسياق الآية هو سياق تأويل وشرح لذلك ذكر جميع حروف الكلمة، أما في الفعل الثاني (تسطع) فلا يحتاج إلى ذلك لأن المقام مقام فراق بين موسى والعبد الصالح[2].

ومن الحالات المماثلة قوله تعالى: ﴿ فَمَا ٱسۡطَٰعُوٓاْ أَن يَظۡهَرُوهُ وَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقۡبٗا ﴿٩٧﴾ ﴾،حذفت التاء في الفعل الأول (اسطاعوا) وذكرت في الفعل الثاني (استطاعوا) وأغلب التفاسير القديمة والحديثة، تتفق حول كون التاء حذفت في الفعل الأول لأن (الظهور) وهو صعود السد الذي بناه ذو القرنين أيسر من (نقبه)؛ وهو محاولة إحداث حفرة خلاله حتى يمر منه الجيش، فجيء بالفعل المخفف(اسطاعوا) مع الحدث الأيسر، وجيء بالفعل التام (استطاعوا) مع الحدث الأصعب وهو حفر النقب [3]، ويضيف السامرائي أن الظهور وهو الصعود يتطلب فترة زمنية أقصر من النقب، فتناسب الفعل المخفف (اسطاعوا) مع (الظهور) والفعل التام مع النقب [4]، ونلاحظ ورود الصيغتين (اسطاعوا واستطاعوا) للغرض ذاته وهو النفي (فما اسطاعوا) و(ما استطاعوا) تعبيرا عن العجز عن القيام بالشيء، غير أن سياق الآية يبين أن الفعل (استطاعوا) يفيد العجز عن القيام بالشيء بعد محاولات عدة لتحقيقه، أما الفعل (اسطاعوا) فيشير إلى عدم ولو المحاولة البسيطة للقيام به، دليل ذلك أن صيغة (الاستطاعة) وردت في القرآن الكريم في أسلوب نفي وإثبات، ففي الإثبات قوله تعالى: ﴿ **فاتقوا الله ما استطعتم واسمعوا وأطيعوا و أنفقوا خيرا لأنفسكم ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون**﴾(**التغابن: 16**)، وقوله: ﴿ **ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم**﴾(**النساء: 129**) ، أما صيغة (اسطاع) فقد وردت في مواضع عدة منفية دالة على العجز عن تحقيق أمر ما[5].

1_ القيسي عودة الله، سر الإعجاز في القرآن الكريم، دار البشير، عمان، (د ط)، 1996م، ص 98.

2_ ينظر: السامرائي فاصل صالح، بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، دار العاتك لصناعة الكتاب، القاهرة، ط2، 1427هـ/2006م، ص 16.

3 _ ينظر: الغرناطي أحمد بن الزبير، ملاك التأويل، تح: محمود كامل أحم،د دار العروبة، بيروت، (د ط)، 1985م، ج2، ص 655.

4_ ينظر: السامرائي، فاضل صالح، بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، ص 10.

5_ ينظر: حسن طبل، أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، دار الفكر، القاهرة، ط1، 1418هـ/1998م، ص 65.

وهذا التحليل السياقي لهاتين الآيتين يكشف لنا سياق الآية في قوله تعالى : ﴿فَمَا ٱسۡطَٰعُوٓاْ أَن يَظۡهَرُوهُ وَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقۡبٗا ٩٧﴾، وقوله تعالى: ﴿تَأۡوِيلُ مَا لَمۡ تَسۡطِع عَّلَيۡهِ صَبۡرٗا ٨٢﴾، إذ كل من الصيغتين (تستطيع) و(تسطع) تدل على النفي الذي غرضه عجز موسى عليه السلام عن الصبر ليسأل العبد الصالح عن سبب ما يقوم به(خرق السفينة، قتل الغلام، إقامة الجدار) وذلك قبل أن يفسر له ما يقوم به وما يدل عليه هو قوله: (سأنبؤك) وصيغة (ذلك تأويل) وبعد معرفته السبب من أفعاله عدل عن صيغة (تستطع) إلى (تسطع)[1]،

ومن الحذف والذكر في الكلمات قوله تعالى : ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ ١﴾، فالحمد مبتدأ خبره محذوف جوازا، والحمد لله في كل وقت وحال، لذلك فإن تقدير المحذوف لا يقبل في سياق هذه الآية لأنه يفسد المعنى[2].

قوله تعالى: ﴿قَيِّمٗا لِّيُنذِرَ بَأۡسٗا شَدِيدٗا مِّن لَّدُنۡهُ وَيُبَشِّرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٢﴾، الفعل (ينذر) يتعدى إلى مفعولين فحذف أحدهما ، والمقصود بـ(إنذار) هم الكفار، ولقلة شأنهم وإنكارا لذكرهم حذف اللفظ الدال عليهم، ودل عليه بلفظ (العذاب)، وعكس ذلك ما ذكر من (البشرى) ودل عليه لفظ (المؤمنين)[3].

قوله تعالى: ﴿كَبُرَتۡ كَلِمَةٗ تَخۡرُجُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبٗا ٥﴾، يشير السياق اللغوي للآية حذف كلمة (مقالتهم) أو (ادعاؤهم)، فنصبت (كَلِمَةً) على التمييز وحذف المسند إليه (الفاعل)، وفي الآية نفسها حذف لفظ (قولا) والتقدير: (إن يقولون قولا كذبا)، وما دل عليه هو لفظ (كذبا)[4].

قوله تعالى:﴿رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَن نَّدۡعُوَاْ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهٗاۖ لَّقَدۡ قُلۡنَآ إِذٗا شَطَطٗا ١٤﴾، حيث حذف لفظ (قولا) والتقدير: (لقد قلنا قولا شططا)، حذف الموصوف فالدعاء لا يكون إلا لله

1 _ ينظر: حسن طبل، ص 66.

2_ ينظر: مروان محمد سعيد، دراسة أسلوبية في سورة الكهف، ص 107.

3 _ ينظر: المرجع نفسه ص 100.

4 _ ينظر: شعيب محمودي، بنية النص في سورة الكهف (مقاربة نصية للاتساق والسياق)، رسالة ماجستير، جامعة قسنطينة، الجزائر، 2009م، ص 96 .

سبحانه، وقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَعۡثَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ﴾، والتقدير :(أعثرنا عثورا عليهم)، حذف لفظ (عثورا) وما دل عليه لفظ (أعثرنا)[1].

قوله تعالى:﴿ مَالِ هَٰذَا ٱلۡكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحۡصَىٰهَاۚ﴾، فالآية ذكرت ما يتم إحصاؤه من أعمال المجرم ولم تحدد نوع هذه الأعمال إن كانت حسنة أو سيئة ؟، والتقدير: حسنة أو سيئة من كبائر الأعمال وصغائرها، والسياق هو من حدد المحذوف.

قوله تعالى: ﴿ بِئۡسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا﴾، حذف لفظ (إبليس) والتقدير: (بئس إبليس للظالمين بدلا)، ولاحتقاره وكفره لم يشأ ذكره[2] .

قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ بَعَثۡنَٰهُمۡ لِيَتَسَآءَلُواْ بَيۡنَهُمۡۚ قَالَ قَآئِلٞ مِّنۡهُمۡ كَمۡ لَبِثۡتُمۡۖ﴾، حذف التمييز بعد (كم) الاستفهامية ويقدر بـ: (يوم، شهر، سنة)، وذلك يعود لسببين: أن السائل لم يكن متأكدا مما حصل معهم ولا من المدة التي استغرقوها في نومهم، وأن الله سبحانه أراد تركيز الانتباه على حقيقة الإيمان (فتية آمنوا بربهم) دون الانتباه إلى الأشياء الثانوية التي تشغل الكفار فقط[3].

وهناك قرائن على المحذوف تذكر في سور قرآنية أخرى كقوله تعالى: ﴿ وَعُرِضُواْ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفّٗا لَّقَدۡ جِئۡتُمُونَا كَمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةِۭ﴾ فالقارئ يود معرفة حال هؤلاء الناس الذين عرضوا على الله سبحانه فجاءت الإجابة في سورة الأنعام في قوله تعالى: ﴿ **ولقد جئتمونا فرادا كما خلقناكم أول مرة**﴾**(الأنعام:94)**، والتقدير في سورة الكهف: (لقد جئتمونا فرادا كما خلقناكم أول مرة)، والسياق الكلي للقرآن هو من أسهم في معرفة المحذوف من الآية[4].

ومن حذف الكلم ات كذلك قوله تعالى: ﴿ وَنُقَلِّبُهُمۡ ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ﴾، والتقدير: (ونقلبهم ذات اليمين ونقلبهم ذات الشمال)، وما دل على حذف الفعل هو سياق الآية.

1_ ينظر: شعيب محمودي، ص 96.

2_ ينظر: شعيب محمودي، ص 97 ، ومروان محمد سعيد، ص 109.

3 _ ينظر: مروان محمد سعيد، ص 109 .

4_ ينظر: شعيب محمودي، ص 97.

ومن الحذف قوله تعالى: ﴿أَبۡصِرۡ بِهِۦ وَأَسۡمِعۡ﴾، والأصل في التركيب: (أبصر به وأسمع به) تكرار حرف الجر مع ضمير الفاعل .

ورغم أهمية كل من المسند إليه فإن القرآن يجيز حذف أحدهما، قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٞ رَّابِعُهُمۡ كَلۡبُهُمۡ وَيَقُولُونَ خَمۡسَةٞ سَادِسُهُمۡ كَلۡبُهُمۡ﴾، وتقدير الكلام: (هم ثلاثة، هم خمسة، هم سبعة)، وهو ما يسمى "الاحتراز من العبث": وهو ترك ما لا ضرورة إلى ذكره حتى يكتسب الكلام جمالا وتماسكا واتساقا، لأن القرينة تدل على المحذوف وذكره يعد عبثا[1].

ويقع الحذف كذلك في الحركات الإعرابية لما تحدثه من فرق في المعاني كقوله تعالى: ﴿قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيۡنِي﴾، وردت لفظة (فراق) دون تنوين ودون تعريف، والتقدير: (هذا فراق ما بيني وبينك من التأويل والتفسير)، ولو ذكرت منونة لفهم أنه ستنتهي رفقتها نهائيا، ولكن الأمر هو نهاية الغموض بالتفسير لما قام به العبد الصالح من أفعال يجهل سببها موسى عليه السلام، والفراق يقصد به كذلك إيقاف السير لتوضيح ما لم يستطع عليه صبرا[2].

ومن الحذف حذف الصفة في وقوله تعالى: ﴿وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٞ يَأۡخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصۡبٗا﴾ والتقدير: (كل سفينة صالحة)، لذلك خرقها العبد الصالح لينقذ أصحابها من المالك الظالم، ووصف (الخرق) بـ(الإمر) لأنه حماية لأهل السفينة[3].

ويتسع باب الحذف والذكر ليشمل الجملة وبالعودة إلى الآية ﴿لَّقَدۡ قُلۡنَآ إِذٗا شَطَطٗا﴾ يمكن تقدير الجملة المحذوفة: (قلنا أن هناك إله غير الله) وهو مالا يرضوا به ، فكلامهم شطط وابتعاد عن الحق، والمحذوف من الذهن محذوف من الكلام، وحذفت جملة الشرط لأنها لو ذكرت لارتبطت الجملتين ونتج عن ذلك طول الجملة فحذفت إحداهما تخفيفا[4].

1_ ينظر: عبد العزيز عتيق، علم المعاني، دار النهضة المصرية، القاهرة، (د ط)، 1994م، ص 134

2_ ينظر: مروان محمد سعيد، ص 111.

3_ ينظر: الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج 15، ص 359.

4 _ينظر: فتحي عامر، فكرة النظم بين وجوه الإعجاز في القرآن الكريم، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة،(د ط)، 1975م، ص 196.

ومما يتكرر حذف العامل الناصب في قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ ﴿٤٧﴾ ﴾ وقوله: ﴿ وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا۟ شُرَكَآءِىَ ﴿٥٢﴾ ﴾، حذف الفعل (اذكر) من الآيتين وهو متساو في كلتا الآيتين فكان أولى من الذكر لما يعطيه ليوم البعث من مهيبة وعظمة[1].

قوله تعالى كذلك: ﴿ *وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِى بَعْضٍ ۖ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ ﴾(الآية:99)، بالعودة إلى سياق الآية وعلاقتها بما تلاها من الآيات نجد أنه حذف أكثر من جملة، فبعد أن انتهى ذو القرنين من بناء السد، جاء وعد الله في غفلة من الكفار، كل هذه الجمل محذوفة من السورة وهو ما جعل منها متماسكة منسجمة مع بعضها البعض، ولعل أصح جملة حذفت هي: (و يوم إذ نفخ في الصور)[2].

قوله تعالى: ﴿ إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ ﴾، ما يربط بين هاتين الآيتين هو جملة فاستجبنا لدعائهم، والتقدير: (ربنا آتنا من لدنك، فاستجبنا لدعائهم فضربنا على آذانهم)، وسياق الآية هو ما دلنا على ما حذف، حيث ذكرت قصة أهل الكهف مختصرة، ثم جاء تفصيلها فيما بعد[3].

ومن الاختزال كذلك قوله تعالى: ﴿ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ ﴾، ذكرت مراحل خلق الإنسان في سورة الكهف مختصرة، وجاء تفصيلها في سورة المؤمنين قوله تعالى: ﴿ **لقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين، ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة، فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأنا خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين**﴾**(الآية:12_14)**، فآية المؤمنين تدلنا على ما حذف من مراحل خلق الإنسان في سورة الكهف ، وهو ما يجعل القرآن وحده متماسكا لا انفصال بين سورها[4].

---

1 _ ينظر: مروان محمد سعيد، ص 112.

2 _ ينظر: شعيب محمودي، ص 98.

3 _ ينظر: شعيب محمودي، ص 99، ومروان محمد سعيد، ص 113.

4 _ ينظر: شعيب محمودي، ص 99 .

ومن أغراض الحذف في القرآن الكريم التشويق مع الإيجاز في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾﴾، حيث حذف سبب سفر موسى عليه السلام من الآية تشويقا للقارئ ، لأنه سيذكر فيما بعد في قوله تعالى : ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾﴾[1].

أما في مراحل خلق النبات يقول تعالى: ﴿فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾﴾، سقطت من الآية بعض مراحل نمو النبات ، فهو يخضر ثم ينمو ويثمر ثم ينضج الثمر ليبيس حتى يصير هشيما تذروه الريح وبالعودة إلى الآية وما سبقها من آيات ، نجد أنه شبه حياة الإنسان بمراحل خلق النبات مذ كان صغيرا إلى أن يهرم[2].

ونخلص إلى أن ظاهرة الحذف والذكر في سورة الكهف يتحكم في ها السياق القرآني وكل عنصر سقط من القرآن الكريم أو ذكر فلحكمة إلهية ولبيان المعنى الحقيقي للآيات.

1 _ ينظر: الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج 15، ص 361 .

2 _ ينظر: شعيب محمودي، ص 101.

المبحث الرابع : تناسب الفواصل مع سياق سورة الكهف

من صور الإعجاز القرآني فواصل الآيات ، فهي متآلفة معها من خلال تأديتها للمعنى التام وللإيقاع كذلك، وفي ذلك يقول الزركشي رحمه الله : « اعلم أن من المواضع التي يتأكد فيها إيقاع المناسبة مقاطع الكلام وأواخره، وإيقاع الشيء فيها بما يشاكله فلا بد أن تكون مناسبة للمعنى المذكور أولا ، وإلا خرج بعض الكلام عن بعض وفواصل القرآن العظيم لا تخرج عن ذلك ، لكن منه ما يظهر ومنه ما يستخرج بالتأمل للبيب » [1]، والقرآن الكريم اُختيرت فواصله بدقة عجيبة ، بحيث تتوافق مع محتوى الآية من جهة الدلالة، ومع الإيقاع العام للآيات السابقة واللاحقة من جهة أخرى، فقد سمع أعرابي قارئا يقرأ قوله تعالى: ﴿ **فإن زللتم من بعد ما جاءتكم البينات فاعلموا أن الله عزيز حكيم** ﴾(**البقرة: 209**) قرأها ﴿ **أن الله غفور رحيم** ﴾ ، فقال الأعرابي: إن هذا كلام الله فلا يقول كذا، الحكيم لا يذكر الغفران مع الزلل[2].

ويبلغ تمكّن الفاصلة في الآيات القرآنية أنها توحي بها قبل النطق بها ، فقد « روي عن زيد بن ثابت أنه قال: أملى علي رسول الله هذه الآية: ﴿ **ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ، ثم خلقنا النطفة علقة، فخلقنا العلقة مضغة، فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما**﴾(**المؤمنون: 12_14**)، وهنا قال معاذ بن جبل، فتبارك الله أحسن الخالقين، فضحك رسول الله، فقال معاذ: مم ضحكت يا رسول الله؟ قال: بها ختمت» [3]، أي أن ما قاله معاذ كان فاصلة الآية التي أملاها الرسول صلى الله عليه وسلم على زيد بن ثابت .

الفاصلة لغة: وردت مادة (فصل) بعدة معان في اللغة العربية « ففي العروض: اجتماع ثلاثة أحرف متحركة والرابع ساكن، وأواخر الآيات فواصل بمنزلة قوافي الشعر» [4]، ويذكر الخليل بن أحمد رحمه الله: « أن الفصل: هو القضاء بين الحق والباطل»[5].

1_ الزركشي، ج1، ص 107.

2 _ ينظر: السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج2، ص 129.

3 _ بدري أحمد أحمد من بلاغة القرآن، دار نهضة، القاهرة، ط1، 2005م، ص 65.

4 _ ابن منظور، مادة (فصل)، ج1، ص 188،189.

5_ الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب، بيروت، (د ط)، 1424هـ/2003 م، ج3، ص 324.

اصطلاحا: لا يبتعد المعنى اللغوي للفاصلة عن مفهومها الاصطلاحي، وقد ورد في عدة كتب قديما وحديثا ومعظمها تتفق حول كون الفاصل القرآنية، هي: تلك الكلمة التي تختم بها الآية في القرآن الكريم [1]، ويستدل العلماء على هذا التعريف من قوله تعالى: ﴿ **كتاب فصلت آياته**﴾(**فصلت: 03**)، وقوله: ﴿ **ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فصلت آياته**﴾(**فصلت: 44**)، ويفهم من كلام الله عز وجل شيئين أولهما: فصل الآيات عن بعضها بفواصل، والثاني: أن الفصل هو البيان والوضوح للمعاني [2]، والم غى الأول يتنافى مع إعجاز القرآن الكريم إذ أنه وحدة متكاملة يكمل بعضه بعضا وسمة الانفصال غير واردة فيه إطلاقا.

غير أن " الداني " رحمه الله يرى أن الفاصلة القرآنية يحددها المعنى وليس نهاية الآية، فقد ينتهي المعنى عند آخر الآية وقد ينتهي قبل ذلك أو بعده، وهو بذلك يربط بين الفاصلة وظاهرة الوقف لما له من علاقة بالمعنى[3].

و**الفاصلة نوعان**: أحدهما هي الفاصلة التي تأتي جزء من بناء الآية، وهو ما يغلب على السور القصار مثل: سورة الإخلاص، الناس، الكوثر، أما النوع الثاني: فتأتي الفاصلة فيه جزء من تركيب جملة نحوية [4]، بمعنى تأتي في آخر الآية في مثل قوله تعالى :

﴿وَتَرَى ٱلشَّمۡسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهۡفِهِمۡ ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقۡرِضُهُمۡ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمۡ فِي فَجۡوَةٖ مِّنۡهُۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِۗ مَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِۖ وَمَن يُضۡلِلۡ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيّٗا مُّرۡشِدٗا ١٧﴾، فلفظ (مرشدا) هو جزء من جملة تامة في نهاية الآية ، أما فواصل سورة الكهف فتشتمل على النوع الأول والثاني معا، فالنوع الأول في قوله تعالى: ﴿ فَأَتۡبَعَ سَبَبًا ٨٥﴾. فللتزمت فواصل سورة الكهف حركة الفتحة التزاما شاملا، وجميعها تنتهي بألف مد غير أصلية ما عدا فاصلة واحدة في

1 _ ينظر: الزركشي، البرهان، ج1، ص 54، والسيوطي، الإتقان، ج3، ص 290، ومحمد الحسناوي، الفاصلة في القرآن، دار عمار، عمان، ط2، 2000م، ص29.

2_ ينظر: ابن منظور، ج1، ص 188.

3 _ ينظر: محمد بو لحية، الأسلوب البلاغي في القرآن الكريم (صورة الكهف دراسة وصفية)، مذكرة ماجستير في اللغة العربية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر، 1430هـ/2009م، ص 76.

4 _ ينظر: السيد خضر، فواصل الآيات القرآنية (دراسة بلاغية دلالية)، دار الآداب، القاهرة، ط2، 1430هـ/2009م، ص 44.

قوله تعالى : ﴿ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ ﴾، غير أنها لم تلتزم حرف الرو ي ذاته بل جاءت حروفه متنوعة لاختلاف القصص الواردة في السورة ، ففي قصة أهل الكهف تنوع حرف الرو ي بين الدال والراء والباء واللام، رغم أن حرف الدال كان هو الغالب على الفواصل من قوله تعالى : ﴿ إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ ﴿١٠﴾ ﴾ إلى الآية: ﴿ وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ ﴿٢٧﴾ ﴾، ثم يتنوع بعد ذلك في وسط السورة بين حرف الراء والباء ليعود ويستقر على حرف الراء في قصة موسى عليه السلام مع الخضر، من الآية:﴿ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ ﴿٨٢﴾ ﴾، ليعود التنوع في حروف الروي إلى نهاية السورة، وهذا التنوع في نظام الفواصل وحروف الروي من أول السور إلى آخرها أضفى عليها تنوعا في الإيقاع[1].

يجعل السياق الفواصل القرآنية متناسبة معنويا مع الآيات ، وذلك يتضح جليا في سورة الكهف، قوله تعالى:﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا ﴿١﴾ ﴾ جاءت الفاصلة (لم يجعل له عوجا) متناسبة مع سياق الآية، من وصف لكتاب الله عز وجل الذي أنزل فيه علم كل شيء، وقوله : ﴿ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ ﴾، اختصرت الفاصلة (حسنا) عمل المؤمنين وهو عمل صالح كما بينت ثوابهم عند الله تعالى ، وهو ثواب حسن ودائم يمكثون فيه يوم الحساب، وهو ما توضحه فاصلة الآية اللاحقة: ﴿ مَّاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴿٣﴾ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾ ﴾ جاءت الفاصلة في هذه الآية متناسبة مع خاتمة سورة الإسراء في قوله: ﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴿١١١﴾ ﴾ فجاءت الفاصلة في سورة الكهف متناسبة مع سياق الإنذار لمن قالوا أن لله ولدا – والعياذ بالله– كما ترتبط الفاصلة مع الآية اللاحقة إذ جاءت مب ينة لجهل الكافرين لما يقولونه من افتراء على الله سبحانه ﴾

1 _ ينظر: محمد بو لحية، الأسلوب البلاغي في القرآن، ص 112، 113.

﴿مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِءَابَآئِهِمْ ۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ۝٥﴾، جاءت الفاصلة (كذبا) متناسقة مع قول الكفار أنه كذب وافتراء.

قوله تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ۝٦﴾ تكشف الفاصلة (آسفا) على حسرة الرسول صلى الله عليه وسلم على القوم الذين لم يؤمنوا برسالة الله سبحانه إليهم، فما كان على الرسول إلا التحسر عليهم، وقوله سبحانه : ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۝٧﴾ فالدنيا وما فيها من زينة ابتلاء للمؤمن القانت العابد لله تعالى، وهو يعرف حقيقتها فلا يغتر بها ، فتناسب سياق الآية مع الفاصلة (أحسن عملا)، ثم يأتي التأكيد على قدرة الله سبحانه في إزالة ما على الأرض من خيرات في لمح البصر في قوله تعالى :﴿وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ۝٨﴾ فالفاصلة (جزرا) تختصر في معناها هذه القدرة الإلهية وهو ما يتناسب مع سياق الآية.

قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ۝٩﴾ رغم أن سياق الآية يشير إلى أن هناك آيات كثيرة في القرآن الكريم أعجب من قصة أهل الكهف إلا أن الفاصلة توجز ما حدث مع الفتية من أشياء غريبة يعجب لها كل من يقرأ قصتهم في السورة، وفي قوله سبحانه: ﴿فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ۝١٠﴾ تتناسب الفاصلة (رشدا) مع ظن الفتية بالله تبارك وتعالى ، من أنه سيهديهم إلى سبيل الاستقامة، وتكشف كذلك على إيمانهم الكبير به وبعدله، أما قوله جلا وعلا: ﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ۝١١ ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا ۝١٢﴾ حيث جاءت الفاصلة في الآية إحدى عشر عامة لم تحدد الفترة التي مكث خلالها أهل الكهف في كهفهم فجيء بالفاصلة في الآية إثنى عشر لتوضح أنها فترة طويلة (أمدا) لا يعلمها إلا الله.

في قوله جلا وعلا: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ۝١٣﴾ تناسب الفاصلة (هدى) مع حال الفتية إذ فروا من ظلم قومهم وكفرهم، وكان هروبهم صوبا، وما يثبت ذلك كلمة (الحق)، وكيف إذا كان الكلام كلام الله سبحانه ولا يحتاج لبرهان على صحته من أنهم فتية مؤمنون بالله جل وعلا وهو ما يبينه سياق الآية اللاحقة في قوله تعالى : ﴿

﴿رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَن نَّدۡعُوَاْ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهٗاۖ لَّقَدۡ قُلۡنَآ إِذٗا شَطَطٗا ١٤﴾ وفي قوله سبحانه: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمُنَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةٗۖ لَّوۡلَا يَأۡتُونَ عَلَيۡهِم بِسُلۡطَٰنِۭ بَيِّنٖۖ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا ١٥﴾ إن اتخاذ القوم الكافرين لغير الله اله تناسب مع فاصلة الآية (كذبا) من أنهم إنما يتبعون الظلال والكفر.

أما قوله تعالى: ﴿يَنشُرۡ لَكُمۡ رَبُّكُم مِّن رَّحۡمَتِهِۦ وَيُهَيِّئۡ لَكُم مِّنۡ أَمۡرِكُم مِّرۡفَقٗا ١٦ مَّن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِۖ وَمَن يُضۡلِلۡ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيّٗا مُّرۡشِدٗا ١٧﴾ جاءت هاتين الآيتين كجواب لدعاء الفتية.

وقوله: ﴿فَقَالُواْ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةٗ وَهَيِّئۡ لَنَا مِنۡ أَمۡرِنَا رَشَدٗا ١٠﴾ فتناسب ذلك مع أن الله سبحانه استجاب لهم من أنه سييسر أمرهم ويرشدهم إلى القرار الصحيح وهو ما توحي إليه الفواصل (مرفقا) و(مرشدا)، وإشارة إلى منظر الكهف الذي يختبأ فيه الفتية يقول تعالى :﴿ لَوِ ٱطَّلَعۡتَ عَلَيۡهِمۡ لَوَلَّيۡتَ مِنۡهُمۡ فِرَارٗا وَلَمُلِئۡتَ مِنۡهُمۡ رُعۡبٗا ١٨﴾ تعبر الفاصلة عن خوف قوم الفتية من الاقتراب لذلك الكهف، وهو خطاب موجه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أن المقصود به هم قوم الفتية ، فمجرد رؤيتهم الكهف تبعث في نفوسهم الهلع والفرار منه وما ذاك إلا حماية لهم من هؤلاء الكفار .

وفي قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثُواْۖ لَهُۥ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ أَبۡصِرۡ بِهِۦ وَأَسۡمِعۡۚ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيّٖ وَلَا يُشۡرِكُ فِي حُكۡمِهِۦٓ أَحَدٗا ٢٦ وَٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلۡتَحَدٗا ٢٧﴾ يكشف السياق في هذه الآيات أن الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وكل من آمن بالله وحده، لن يجدوا ملاذا ونصيرا إلا الله سبحانه وهو ما تعبر عنه الفواصل وتتناسب معه (أحدا، ملتحدا)، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ٢٨﴾ ...

﴿وَإِن يَسۡتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٖ كَٱلۡمُهۡلِ يَشۡوِي ٱلۡوُجُوهَۚ بِئۡسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتۡ مُرۡتَفَقٗا ٢٩﴾ يوضح

سياق الآيات مصير من التهى بزينة الحياة عن ذكر الله سبحانه واغتراره بها ، ما يتناسق مع الفاصلة (فرطا) وأن مصيره النار لا محالة وهو من سوء الخاتمة ، فتناسب ذلك تماما قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ مَنۡ أَحۡسَنَ عَمَلًا ٣٠ أُوْلَٰٓئِكَ ... فِيهَا عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِۚ نِعۡمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتۡ مُرۡتَفَقًا ٣١ ﴾ يوضح الله سبحانه مصير من يؤمن به ويعمل صالحا فجزاؤه الجنة في الآخرة، وهو ما عبرت عنه الفواصل (أحسن عملا) و(حسنت مرتفقا)، ويضرب الله تعالى مثلا لهذين الصنفين من الناس _من يعمل سوء ومن يعمل حسنا_ بقصة الرجل صاحب الجنتين وأخيه العبد الصالح في قوله تعالى: ﴿ وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلٗا رَّجُلَيۡنِ ... ٣٢ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ فِئَةٞ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ٤٣ ﴾ فالرجل الظالم الذي أشرك بالله سبحانه كان مصيره الخزي والغضب من الله تعالى لتكبره وتعاليه على أخيه فتناسب ذلك مع فواصل الآيات وهي كالتالي: (أعز نفرا)،(تبيد هذه أبدا)،(منقلبا)،(سوّاك رجلا)،(أحدا)،(صعيدا زلقا)،(لن تستطيع له طلبا)،(لم أشرك بربي أحدا).

ويظن الكفار أن يوم الحساب لن يأتي، فجاء سياق الآية متناسبا مع فواصلها في قوله تعالى: ﴿ وَحَشَرۡنَٰهُمۡ فَلَمۡ نُغَادِرۡ مِنۡهُمۡ أَحَدٗا ٤٧ وَعُرِضُواْ ... بَل زَعَمۡتُمۡ أَلَّن نَّجۡعَلَ لَكُم مَّوۡعِدٗا ٤٨ ... وَيَقُولُونَ يَٰوَيۡلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلۡكِتَٰبِ ... حَاضِرٗاۗ وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا ٤٩ ﴾ والفواصل كالأتي: (لم نغادر منهم أحدا)،(لكم موعدا)،(لا يظلم ربك أحدا)، ثم يذكر سبحانه قصة إبليس ومن الكفار لتتناسب الفواصل مع سياق العذاب الذي ينتظرهم في قول الله تعالى: ﴿ بِئۡسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلٗا ٥٠ ﴾، وقوله: ﴿ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلۡمُضِلِّينَ عَضُدٗا ٥١ ﴾ وقوله: ﴿ وَجَعَلۡنَا بَيۡنَهُم مَّوۡبِقٗا ٥٢ ﴾، وقوله: ﴿ وَلَمۡ يَجِدُواْ عَنۡهَا مَصۡرِفٗا ٥٣ ﴾ .

ثم تبدأ قصة موسى عليه السلام مع العبد الصالح، لتتناسب رغبة موسى في التعلّم مع فواصل الآيات ﴿ عِلۡمٗا ٦٥ ﴾، ﴿ رُشۡدٗا ٦٦ ﴾، ﴿ صَبۡرٗا ٦٧ ﴾، ﴿ خُبۡرٗا ٦٨ ﴾، ﴿ أَمۡرٗا ٦٩ ﴾،

فطلب العلم يلزمه الصبر والرشد وكل ما يأمر به المعلم (العبد الصالح) لابد من تنفيذه، فتناسبت الفواصل مع الآيات السابقة واللاحقة في القصة، ثم تتضح حالة موسى عليه السلام من قلة صبره على ما يقوم به الرجل الصالح من أفعال تبدو منافية للفطرة السليمة التي جبل عليها موسى عليه السلام وهو ما يناسب مع الفواصل ﴿ إِمْرًا ﴿٧١﴾ ﴾، ﴿صَبْرًا ﴿٧٢﴾ ﴾ ﴿عُسْرًا ﴿٧٣﴾ ﴾، ﴿عُذْرًا ﴿٧٦﴾ ﴾.

وصولا إلى قصة ذي القرنين الملك الذي أتاه الله قدرة كل شيء ، وهو ما تكشفه الفواصل وتتناسب معه قوله: ﴿ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ ﴾، وقوله: ﴿ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾ ﴾، ﴿ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ ﴾، وقوله: ﴿ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ﴾ وقوله: ﴿ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ ﴾، وكذلك قوله تعالى: ﴿ وَمَا اسْطَاعُوا لَهُ نَقْبًا ﴿٩٧﴾ ﴾، لتختم السورة بذكر أهوال يوم القيامة فتتناسب الفواصل مع هذا اليوم

﴿ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا ﴿٩٩﴾ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَافِرِينَ عَرْضًا ﴿١٠٠﴾ ... وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴿١٠١﴾ ﴾، وفي قوله: ﴿ أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا ﴿١٠٢﴾ ﴾، وقوله: ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ ﴾، ﴿ وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ ﴾، وقوله: ﴿ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ ﴾، ﴿ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ﴿١٠٦﴾ ﴾، ثم يرتبط سياق الخاتمة في السورة بسياق البداية من ذكر الوحي ووحدانية الله سبحانه والحث على العمل الصالح، في قوله تعالى: ﴿ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ ... لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾ ﴾، أما عن الوحي يقول تعالى: ﴿ أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١١٠﴾ ﴾

وهو ما يكشف عن الوحدة السياقية للسورة.

نخلص إلى أن السياق القرآني عمل كقرينة لتوجيه الظواهر البيانية في سورة الكهف وكقاعدة في تفسيرها.

إن غاية البحث هي استعراض تقاطع ظاهرة السياق مع العلوم العربية واتخاذه وسيلة لكشف المعنى كما يعرض البحث تقاطع النظريات اللسانية العربية لإقامة نظرية سياقية متكاملة، وبعد التفصيل في هذه المباحث لابد من ختم البحث بمجموعة من النتائج:

_ جاءت مادة (سوق) على هذا الأصل، ولم يرد لفظ (السياق) في القرآن الكريم، ففي قوله تعالى: ﴿ **حتى إذا أقلت ثقالا سقناه لبلد ميت**﴾ **(الأعراف: 57)** .

_ ورد المفهوم الاصطلاحي للسياق في المعاجم الأجنبية، وهو ما يبين أنهم تناولوه كمصطلح مباشرة، أما المعاجم العربية فاكتفت بالمفهوم اللغوي.

_ عناية العلوم العربية على اختلافها بظاهرتي السياق والمعنى.

_ إشارة النحاة إلى السياق بمدلوله اللغوي، أما سياق المقام فقد تنبهوا إلى عناصره فأصول النحو كالسماع مثلا يعد عنصرا من عناصر المقام أو السياق الثقافي، وما يؤخذ عليهم هو اعتمادهم نماذج لغوية معينة دون الخروج إلى سياقات أخرى.

_اتفق النحاة والبلاغيون في دراسة السياق اللغوي للتركيب دراسة نحوية أولا غير أن البلاغيين تجاوزوا هذه المرحلة، إلى مرحلة مطابقة الكلام بالغرض الذي سيق لأجله وبذلك فقد ركز النحاة على الجانب اللغوي من السياق بينما ركز علماء البلاغة على المقام والحال التي يطابق بها الكلام.

_ يضبط السياق القرآني فهم المتلقين لذلك فهو يعين على تدبر معاني القرآن الكريم وتفسيرها.

_ يظهر السياق القرآني قدرة الألفاظ على قيامها بوظائف دلالية عدة وذلك كلما تغير السياق الذي ترد فيه، لذلك فهو ينضوي تحت قاعدة تفسير القرآن بالقرآن، ليصير إحدى

دلائل الإعجاز القرآني، فهو يقدم الأغراض والمعاني المتعددة للفظ الواحد دون اضطراب بينها كما يقول أبو الدرداء رضي الله عنه: « إنك لن تفقه كل الفقه حتى ترى للقرآن وجوها كثيرة ».

_ تعد ظاهرة السياق اكتشافا جديدا في الدراسات الغربية الحديثة، غير أنها استطاعت صوغ نظرية متكاملة للسياق من جميع جوانبه.

_ السياق المقالي والمقامي ركيزتين أساسيتين في التحليل الدلالي للمعنى لا يمكن الاستغناء عنهما، لأنهما يؤسسان للتعامل مع النص كوحدة لا تتجزأ.

_ إن المدونة المختارة للدراسة تختلف عن باقي الدراسات الأخرى ذلك أنها من القرآن الكريم، وهو كلام الله المعجز في جميع جوانبه، وسورة الكهف تختلف مناسبات النزول فيها، ومع ذلك فإن السياق القرآني جعل منها وحدة موضوعية.

_ التركيب عبارة عن بناء له معنى، وهذا المعنى لا يتجلى إلا إذا تعلقت أجزاؤه ببعضها تعلقا معنويا يكشف السياق الذي يرد فيه.

ومن أهم التوصيات التي أوصي بها الباحثين أن ظاهرة السياق عربية النشأة وإن استقلت كنظرية في الدرس اللساني الحديث، واستقراء التاريخ العربي اللغوي يثبت ذلك، ولربما أن هذه النظرة الغربية قامت في أصل وجودها على الدراسة والبحث في التراث العربي وإعادة إخراجه في إطار لغوي مختلف، أو أن طبيعة لغتهم أملت عليهم هذا المنهج من الدراسة، لذلك لابد على الباحث العربي أن يعيد البحث في هذا التراث بحثا جدّيا يبين فيه أصالة المنهج السياقي في العلوم العربية التراثية .

وأخيرا أقول إن كان هناك خير في البحث فمن الله سبحانه وتعالى وإن كان هناك نقص أو خطأ فمن نفسي، وخير الختام أن الحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات.

_ القرآن الكريم برواية ورش.

المصادر:

1_ أحمد بن فارس، مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، ط1، 1933ه/1979م.

2_ الإستراباذي الرضي، شرح الكافية، تص: يوسف حسن عمر، منشورات جامعة قاريوس، (د ط)، (د ت).

3_ الأعلم الشنتمري، النكت في تفسير كتاب سيبويه، قر: يحيى مراد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2005م.

4_ الآلوسي محمد، روح المعاني تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار الفكر، بيروت، (د ط)، 103ه/ 1983م.

5_ الأنباري محمد بن القاسم، الأضداد، تح: محمد أبو الفضل ابراهيم، دائرة المطبوعات، الكويت، (د ط)، (د ت).

6_ الأنصاري ابن هشام، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تح: مازن المبارك، دار الفكر، ط1، 1998م.

7_ البخاري محمد بن اسماعيل، صحيح البخاري، دار السلام، الرياض، ط 2، 1429ه/1999م.

8_ البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، مؤسسة شعبان، بيروت، (د ط)، (د ت).

9_ الترمذي محمد أبو عيسى، صحيح سنن الترمذي، تح: محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث، بيروت، (د ط)، (د ت).

10_ التفتزاني سعد الدين، المختصر في علوم البلاغة، دار السرور، بيروت، (د ط)، (د ت).

11_ ابن تيمية، مجموع الفتاوى، تر: عبد الرحمان بن محمد، مجمع الملك فهد، المدينة المنورة، د ط، 1425هـ/2004م.

12_ الجاحظ، البيان والتبيين، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط7، 1418هـ/1998م.

13_ الجرجاني عبد القاهر، دلائل الإعجاز، تح: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1413هـ/1992م.

14_ الجرجاني علي بن محمد الشريف، معجم التعريفات، تح: صديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة، ط6، 2003.

15_ ابن جنّي، الخصائص، محمد علي النجار، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ط 4، 1999م.

16_ الجوهري إسماعيل بن حماد، الصّحاح، تح: أحمد عبد الغفور، دار العلم، بيروت، لبنان، ط4، 1407هـ/1981م.

17_ الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب، بيروت، (د ط)، 1424هـ/ 2003م.

18_ الدسوقي محمد بن محمد، الحاشية على شرح السعيد لتلخيص المفتاح، دار السرور، بيروت،(د ط)، (د ت) .

19_ ابن دقيق العيد، إحكام الأحكام، شرح عمدة الأحكام، تح: أحمد شاكر، عالم الكتب، القاهرة، ط2، 1407هـ.

20_ ديوان الأخطل، شر: عبد الرحمان المطاوي، دار المعرفة، بيروت، ط 2، 1426هـ/2005م.

21_ ديوان امرؤ القيس، تح: عبد الرحمان المطاوي، دار المعرفة، بيروت، ط 2، 1425هـ/2004م.

22_ الرازي فخر الدين، التفسير الكبير، دار الفكر، بيروت، ط1، 1401هـ/1981 م .

23_ الزركشي أبو عبد الله محمد، البرهان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، (د ط)، (د ت).

24_ الزمخشري جار الله:

_ أساس البلاغة، تح: محمد باسل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1419هـ/ 1998م.

_ الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل، في وجوه التأويل، تح: أحمد عادل وآخرون، مكتبة العبيكان، السعودية، ط1 1418هـ/ 1997م.

25_ ابن السراج، الأصول في النحو، تح: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط4، 1999م.

26_ السكاكي يوسف بن أبي بكر، مفتاح العلوم، تح: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1987م .

27_ سيبويه، الكتاب، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 3، 1408هـ/1988م.

28_ السيرافي يوسف المرزبان، شرح أبيات سيبويه، تح: محمد الريح هاشم، دار الجيل، بيروت، ط1416هـ/1996م.

29_ السيوطي جلال الدين، الإتقان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل، ط3، القاهرة، دار التراث، (د ط)، (د ت).

30_ الشاطبي أبو إسحاق إبراهيم، الموافقات، تح: مشهور بن حسن، دار بن عفان السعودية، ط1،1417هـ/1997 م.

31_ الشافعي، الرسالة، تح: أحمد محمد شاكر، دار الكتب العلمية، بيروت، (د ط)، (د ت)

32_ الصعيدي عبد المتعال، بغية الإيضاح في تلخيص المفتاح، المطبعة النموذجية، القاهرة، ط8، (د ت).

33_ ابن الطراوة، البسيط في شرح جمل الزجاج، تح: عياد الشبيتي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1407هـ .

34_ بن عاشور محمد الطاهر، التحرير والتنوير، الدار التونسية، تونس، (د ت)1984م.

35_ الغرناطي أحمد بن الزبير، ملاك التأويل، تح: محمود كامل أحمد، دار العروبة، بيروت، (د ط)، 1985 م.

36_ الفيروز أبادي، القاموس المحيط، تح: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، دمشق، ط8، 1426هـ/2005م.

37_ المبرد أبو العباس، المقتضب، تح: محمد عبد الخالق عظيمة، عالم الكتب، بيروت، (د ط)، (د ت).

38_مجمع اللغة العربية، معجم الوسيط، مكتبة الشروق، مصر، ط4، 1425هـ/2004م

39_ المغربي ابن يعقوب، مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح، دار السرور، بيروت، (د ط)، (د ت).

40_ مكي أبي طالب، العمدة في غريب القرآن، تح: محمود كامل أحمد، دار العروبة، بيروت، (د ط)، 1985م.

41_ ابن منظور، لسان العرب، تع: خالد رشيد القاضي، دار صبح، بيروت، ط 1، 1427هـ/2006م.

المراجع باللغة العربية:

1_ إبراهيم أنيس، من أسرار اللغة، مطبعة الأنجلو مصرية، القاهرة، ط8، 2003م .

2_ أحمد أحمد بدوي، من بلاغة القرآن، دار نهضة، القاهرة، ط1، 2005م.

3_ أحمد مختار عمر، علم الدلالة، علم الكتب، القاهرة، ط5، 1998م.

4_ تمام حسان:

_ البيان في روائع القرآن (دراسة لغوية وأسلوبية، للنص القرآني)، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1413هـ/1993م.

_ اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، (د ط)، 1994م.

_ مقالات في اللغة والأدب، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1427هـ/2006م.

5_ الجواري عبد الستار، نحو المعاني، مطبعة المجمع العلمي العراقي، (د ط)، 1987م.

6_ الحارثي عبد الوهاب، دلالة السياق منهج مأمون في تفسير القرآن، دائرة المكتبات، عمان، ط1، 1409هـ.

7_ حسن طبل، أسلوب الإلتفات في البلاغة القرآنية، دار الفكر، القاهرة، ط 1، 1418هـ/1988م.

8_ حلمي خليل، الكلمة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط2، 1998م .

9_ حمادي صمود، مقالات في تحليل الخطاب، منشورات جامعة منوبة، تونس، ط1، 2008م.

10_ خالد عبود حمودي، نظر في نظرية السياق، الجامعة المستنصرية، (د ط)، (د ت).

11_ الخضري محمد أمين، من أسرار حروف الجر في الذكر الحكيم، مكتبة وهبة، القاهرة، (د ط)، 1409هـ/1989م.

12_ السامرائي فاضل صالح:

_ بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، شركة العاتك لصناعة الكتاب، القاهرة، ط2، 1427هـ/2006م.

_ التعبير القرآني (دراسات بيانية في الأسلوب القرآني)، دار عمار، عمان، ط4، 1427هـ/2006م.

_ من أسرار لبيان القرآني، دار الفكر، عمان، الأردن، ط3، 1433هـ/2012م.

13_ صحراوي مسعود، التداولية عند العلماء العرب، دار الطليعة، بيروت، ط1، 2005م.

14_ الطلحي ردة الله، دلالة السياق، معهد البحوث، مكة المكرمة، ط1، 1424هـ.

15_ عبد المجيد جحفة، مدخل إلى الدلالة الحديثة، دار توبقال، الدارالبيضاء، ط1، 2000م.

16_ عبد الحميد عبد الواحد، الكلمة في التراث العربي اللساني،م كتبة علاء الدين، صفاقس، ط1، 2004 م.

17_ عبد الرحمن حسن العارف، اتجاهات الدراسة اللسانية المعاصرة في مصر، دار الكتاب الجديد، بيروت، ط1، 2013م.

18_ عبد النعيم خليل، السياق بين القدامى والمحدثين، دار الوفاء، الإسكندرية، ط1،2007م.

19_ عتيق عبد العزيز، علم المعاني، دار النهضة المصرية، القاهرة، (د ط)، 1974م.

20_ عرفات فيصل المناع، السياق والمعنى (دراسة في أساليب النحو)، مؤسسة جامعة قاريوس، (د ط)، 1978م .

21_ عفيفي أحمد، التعريف والتنكير في النحو العربي (دراسة في الدلالة والوظائف النحوية)، مكتبة الزهراء، القاهرة،(د ط)، (د ت).

22_ علي أبو المكارم، الحذف والتقدير في النحو العربي، دار غريب، القاهرة، ط 1، 2007م.

23_ العوادي أسعد خلف، سياق الحال في كتاب سيبويه، دار الحامد، عمان، ط 1، 1432هـ.

24_ عواطف كنوش المصطفى، الدلالة السياقية عند اللغويين، دار السياب للطباعة، لندن،ط1،2007م .

25_ غازي مختار ظليمات، في علم اللغة، دار طلاس، دمشق، ط2، 2000م.

26_ غراتشيا غابوتشان، نظرية أدوات التعريف والتنكير وقضايا النحو، تر: جعفر دك الباب، مؤسسة الوحدة، دمشق،(د ط)،1401هـ/1980م.

27_ فتحي عامر، فكرة النظم بين وجوه الإعجاز في القرآن الكريم، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، (د ط)، 1975م.

28_ القيسي عودة الله، سر الإعجاز في القرآن الكريم، دار البشير، عمان، (د ط)، 1416هـ/1996م.

29_ كريم حسين ناصح الخالدي، نظرية المعنى في الدراسات النحوية، دار صفاء، عمان، ط1، 1427هـ/2006م.

30_ كريم زكي حسام الدين، أصول تراثية في اللسانيات الحديثة، القاهرة، ط 3، 1421هـ/2001 م.

31_ كمال بشر، علم اللغة الاجتماعي، دار الثقافة العربية، (د ط)، 1994م.

32_ مبارك مبارك، معجم المصطلحات الألسنية، دار الفكر، بيروت، ط1، 1995.

33_ المثنى عبد الفتاح محمود، نظرية السياق القرآني، دار وائل، عمان، ط 1، 1429هـ/2008م.

34_ محمد أبو موسى، خصائص التراكيب (دراسة تحليلية لعلم المعاني)، مكتبة وهبة، القاهرة، ط2، 1978م.

35_ محمد حسن حسن جبل، دفاع عن القرآن، البربري للطباعة، بيسون، مصر، ط 2، 2000م.

36_ محمد الحسناوي، الفاصلة في القرآن، دار عمار، عمان، ط2، 2000م.

37_ محمد حماسة عبد اللطيف، النحو والدلالة، دار الشروق، القاهرة، 1420هـ/2000م.

38_ محمد محمد يونس علي:

_ المعنى وظلال المعنى(أنظمة الدلالة في العربية)، دار المدار الإسلامي، بيروت، ط2، 2007م.

_ مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب، دار الكتاب الجديدة، بيروت، ط2، 2004م.

39_ محمد يوسف حبلص، أثر الوقف على الدلالة التركيبية، دار الثقافة العربية، القاهرة، 1414هـ/1993م .

40_ مساعد المطيري، فصول في أصول التفسير، دار ابن الجوزي، الدمام، السعودية، ط3، 1420هـ/1999م.

41_ المسدي عبد السلام، التفكير اللساني في الحضارة العربية، دار العربية للكتاب، ليبيا، ط1، 1981م.

42_ هبلش، تاريخ علم اللغة الحديث، تر: سعيد حسن خيري، مكتبة الزهراء، القاهرة، ط 3، 2003م.

43_ هادي نهر:

_علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي، دار الأمل، الأردن، ط1، 2007م.

_ علم اللغة الاجتماعي عند العرب، جامعة المستنصرة، ط 1، 1408هـ/1988م.

الرسائل الجامعية:

1_ إبراهيم علي الجعيد، خصائص بناء الجملة القرآنية، ودلالتها البلاغية (في تفسير التحرير والتنوير)، رسالة ماجستير في البلاغة والنقد، جامعة أم القرى، مكة ، السعودية، 1419هـ/1999م .

2_ باحويرت تهاني بنت سالم، أثر دلالة السياق القرآني في توجيه معنى المتشابه اللفظي في القصص القرآني (دراسة نظرية تطبيقية على آيات قصص نوح وهود وصالح وشعيب عليهم السلام)، رسالة ماجستير في علوم القرآن، جامعة أم القرى، مكة، السعودية، 1428هـ/2007 م.

3_ بولحية محمد، الأسلوب البلاغي في القرآن (سورة الكهف نموذجا دراسة وصفية)، رسالة ماجستير في اللغة العربية وآدابها، جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر،1430هـ/1431م.

4_ الطبري عبد الرحمن عبد الله، السياق القرآني وأثره في التفسير (دراسة نظرية وتطبيقية من خلال تفسير ابن كثير)، رسالة الماجستير في علوم القرآن، جامعة أم القرى، السعودية، 1429هـ/2008م.

5_ محمودي شعيب، بنية النص في سورة الكهف، مقارنة نصية للأنساق والسياق)، رسالة الماجستير في اللسانيات، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، 2009م.

6_ مروان محمد سعيد، دراسة أسلوبية في سورة الكهف، رسالة ماجستير في اللغة العربية، جامعة النجاح، نابلس، فلسطين، 2006م.

المجلات والحوليات :

1_ حاج صالح عبد الرحمن، النحو العربي ومنطق أرسطو، مجلة اللسانيات، جامعة الجزائر، 1974م.

2_ العزاوي نعمة رحيم، المجلة العربية في ضوء الدراسات الحديثة، مجلة المورد، م 10، ع4_3، 1981م.

3_ لحمادي فطومة، السياق والنص (استقصاء دور السياق في تحقيق التماسك النصي)، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، ع 2_3، 2008م.

4_ عزمي إسلام، مفهوم المعنى، حوليات كلية الآداب، جامعة الكويت، ع8، 1985م .

5_ نواري سعودي، موقع الدلالة السياقية في المعاجم العربية، مجلة كلية دار العلوم، جامعة فرحات عباس، سطيف، الجزائر، ع6، 2011م.

6_ مفتاح بن عروس، في علاقة النص بالمقام (سورة الكهف نموذجا)، مجلة اللغة والأدب، جامعة الجزائر، الجزائر، ع14، 1420هـ/1999م.

المراجع باللغة الفرنسية:

1_ André Lalande, vocabulaire techninique et critique de la philosophie, PUE,1980

2_ Petit la rousse en couleurs, édition, paris

3_R Glisson et D.coste: dictionnaire de didactique des langue, paris

مقدمة..... ص أ_ د

مدخل: مفاهـــــيم أولية

1_ مفهوم السياق: 1_1_ لغة ص11

1_2_ اصطلاحا ص12

2_ مفهوم المعنى: 2_1_ لغة..... ص14

2_2_ اصطلاحا..... ص15

3_ مفهوم البيان: 3_1_ لغة..... ص17

3_2_ اصطلاحا ص18

الفصل الأول: السياق في التراث العربي وفي الدراسة الغربية الحديثة.

المبحث الأول: السياق في الدراسات التراثية العربية.....ص22

1_ السياق بين النحو والبلاغة..... ص24

1_1_ السياق والنحو العربي.....ص24

1_2_ السياق والبلاغة العربية..... ص43

2_ السياق القرآني.....ص51

المبحث الثاني: السياق في الدراسة الغربية الحديثة..... ص59

1_ النظرية السياقية..... ص60

2_ نظرية التخاطب.....ص 67

الفصل الثاني: أثر السياق القرآني في بيان معاني سورة الكهف

1_ البنية القرآنية..... ص76

2_ التقديم والتأخير.....ص85

3_ الذكر والحذف.....ص92

4_ الفاصلة القرآنية..... ص101

خاتمة..... ص 110

قائمة المصادر والمراجع..... ص113

فهرس.....ص125

ملخص

ملخص البحث:

عنوان البحث: دور السياق في فهم معاني التراكيب

_ دراسة بيانية لسورة الكهف _

إعداد الطالبة: فضيلة بوعنان

إشراف الأستاذ: سليم عواريب

تناولت في البحث نظرة كل من علماء التراث العربي وعلماء اللسانيات الغربية الحديثة لظاهرة السياق، ومنهج كل منهما في دراستها، إذ قامت معظم العلوم العربية من نحو وبلاغة على بيان معاني القرآن الكريم، ويعد السياق إحدى قواعد تفسيره فظهر السياق القرآني كنوع من أنواع السياق يختص بكتاب الله عز وجل، أما الدراسات الغربية فحصرت وظيفة السياق في كشف معاني الألفاظ في استعمالات عديدة، وقد أعانتني هاتين النظرتين اللغويتين _العربية التراثية والغربية الحديثة_ على بيان دور السياق في كشف معاني سورة الكهف.

Résumé de la recherche :

Titre : Le rôle du contexte dans la compréhension de la signification des compositions

_ Pour étudier illustrative Surat alkahf _

La préparation de étudiante : BOUANANE FADHILA

Supervision du professeur : AOUARIB SALIM

Traitée dans la recherche regarder à la fois scientifiques patrimoine arabe et linguistes phénomène occidental moderne de contexte , et approcher l'autre dans l'étude , la majorité de la science arabe du monde éloquence de la déclaration du Saint Coran , et c'est le contexte l'une des règles interprétées semble considérer le Coran comme une sorte de contexte en ce qui concerne le livre Dieu Tout-Puissant , les études occidentales Vhsrt contexte de fonction dans la découverte de la signification des mots dans les usages de beaucoup, m'a aidé Htein ni approche ne fonctionnera groupes linguistiques _ patrimoine arabe et occidentale moderne _ une déclaration du rôle du contexte dans la découverte de la signification Surat alkahf , et les résultats les plus importants que le contexte est associé à toutes les paroles de l'homme et de ses actions , qui régit relations sociales qui perfectionne .